مجلة جامعة البعث

سلسلة الآداب و العلوم الانسانية

مجلة علمية محكمة دورية

المجلد 43 . العدد 15

1442 هـ - 2021 م

الأستاذ الدكتور عبد الباسط الخطيب

رئيس جامعة البعث

المدير المسؤول عن المجلة

أ. د. ناصر سعد الدين	**رئيس هيئة التحرير**
أ. د. هايل الطالب	**رئيس التحرير**

مديرة مكتب مجلة جامعة البعث

بشرى مصطفى

د. محمد هلال	**عضو هيئة التحرير**
د. فهد شريباتي	**عضو هيئة التحرير**
د. معن سلامة	**عضو هيئة التحرير**
د. جمال العلي	**عضو هيئة التحرير**
د. عباد كاسوحة	**عضو هيئة التحرير**
د. محمود عامر	**عضو هيئة التحرير**
د. أحمد الحسن	**عضو هيئة التحرير**
د. سونيا عطية	**عضو هيئة التحرير**
د. ريم ديب	**عضو هيئة التحرير**
د. حسن مشرقي	**عضو هيئة التحرير**
د. هيثم حسن	**عضو هيئة التحرير**
د. نزار عبشي	**عضو هيئة التحرير**

تهدف المجلة إلى نشر البحوث العلمية الأصيلة، ويمكن للراغبين في طلبها الاتصال بالعنوان التالي:

رئيس تحرير مجلة جامعة البعث

سورية . حمص . جامعة البعث . الإدارة المركزية . ص . ب (77)

. هاتف / فاكس : 2138071 31 963 ++

. موقع الإنترنت : www.albaath-univ.edu.sy

. البريد الالكتروني : magazine@ albaath-univ.edu.sy

ISSN: 1022-467X

قيمة العدد الواحد : 100 ل.س داخل القطر العربي السوري

25 دولاراً أمريكياً خارج القطر العربي السوري

قيمة الاشتراك السنوي : 1000 ل.س للعموم

500 ل.س لأعضاء الهيئة التدريسية والطلاب

250 دولاراً أمريكياً خارج القطر العربي السوري

توجه الطلبات الخاصة بالاشتراك في المجلة إلى العنوان المبين أعلاه.

يرسل المبلغ المطلوب من خارج القطر بالدولارات الأمريكية بموجب شيكات باسم جامعة البعث.

تضاف نسبة 50% إذا كان الاشتراك أكثر من نسخة.

شروط النشر في مجلة جامعة البعث

الأوراق المطلوبة:

- 2 نسخة ورقية من البحث بدون اسم الباحث / الكلية / الجامعة) + CD / word من البحث منسق حسب شروط المجلة.
- طابع بحث علمي + طابع نقابة معلمين.
- **اذا كان الباحث طالب دراسات عليا:**

يجب إرفاق قرار تسجيل الدكتوراه / ماجستير + كتاب من الدكتور المشرف بموافقته على النشر في المجلة.

- **اذا كان الباحث عضو هيئة تدريسية:**

يجب إرفاق قرار المجلس المختص بإنجاز البحث أو قرار قسم بالموافقة على اعتماده حسب الحال.

- **اذا كان الباحث عضو هيئة تدريسية من خارج جامعة البعث :**

يجب إحضار كتاب من عمادة كليته تثبت أنه عضو بالهيئة التدريسية و على رأس عمله حتى تاريخه.

- **اذا كان الباحث عضواً في الهيئة الفنية :**

يجب إرفاق كتاب يحدد فيه مكان و زمان إجراء البحث ، وما يثبت صفته وأنه على رأس عمله.

- **يتم ترتيب البحث على النحو الآتي بالنسبة لكليات (العلوم الطبية والهندسية والأساسية والتطبيقية):**

عنوان البحث . . ملخص عربي و إنكليزي (كلمات مفتاحية في نهاية الملخصين).

1- مقدمة

2- هدف البحث

3- مواد وطرق البحث

4- النتائج ومناقشتها .

5- الاستنتاجات والتوصيات .

6- المراجع.

- **يتم ترتيب البحث على النحو الآتي بالنسبة لكليات (الآداب – الاقتصاد– التربية – الحقوق – السياحة – التربية الموسيقية وجميع العلوم الإنسانية):**
- عنوان البحث . . ملخص عربي و إنكليزي (كلمات مفتاحية في نهاية الملخصين).

1. مقدمة.
2. مشكلة البحث وأهميته والجديد فيه.
3. أهداف البحث و أسئلته.
4. فرضيات البحث و حدوده.
5. مصطلحات البحث و تعريفاته الإجرائية.
6. الإطار النظري و الدراسات السابقة.
7. منهج البحث و إجراءاته.
8. عرض البحث و المناقشة والتحليل
9. نتائج البحث.
10. مقترحات البحث إن وجدت.
11. قائمة المصادر والمراجع.

7- يجب اعتماد الإعدادات الآتية أثناء طباعة البحث على الكمبيوتر:

أ- قياس الورق 17.5×25 B5.

ب- هوامش الصفحة: أعلى 2.54- أسفل 2.54 – يمين 2.5- يسار 2.5 سم

ت- رأس الصفحة 1.6 / تذييل الصفحة 1.8

ث- نوع الخط وقياسه: العنوان . Monotype Koufi قياس 20

. كتابة النص Simplified Arabic قياس 13 عادي . العناوين الفرعية Simplified Arabic قياس 13 عريض.

ج . يجب مراعاة أن يكون قياس الصور والجداول المدرجة في البحث لا يتعدى 12سم.

8- في حال عدم إجراء البحث وفقاً لما ورد أعلاه من إشارات فإن البحث سيهمل ولا يرد البحث إلى صاحبه.

9- تقديم أي بحث للنشر في المجلة يدل ضمناً على عدم نشره في أي مكان آخر، وفي حال قبول البحث للنشر في مجلة جامعة البعث يجب عدم نشره في أي مجلة أخرى.

10- الناشر غير مسؤول عن محتوى ما ينشر من مادة الموضوعات التي تنشر في المجلة

11- تكتب المراجع ضمن النص على الشكل التالي: [1] ثم رقم الصفحة ويفضل استخدام التهميش الإلكتروني المعمول به في نظام وورد WORD حيث يشير الرقم إلى رقم المرجع الوارد في قائمة المراجع.

تكتب جميع المراجع باللغة الانكليزية (الأحرف الرومانية) وفق التالي:

آ . إذا كان المرجع أجنبياً:

الكنية بالأحرف الكبيرة . الحرف الأول من الاسم تتبعه فاصلة . سنة النشر . وتتبعها معترضة (–) عنوان الكتاب ويوضع تحته خط وتتبعه نقطة . دار النشر وتتبعها فاصلة . الطبعة (ثانية . ثالثة) . بلد النشر وتتبعها فاصلة . عدد صفحات الكتاب وتتبعها نقطة.

وفيما يلي مثال على ذلك:

–MAVRODEANUS, R1986– **Flame Spectroscopy**. Willy, New York, 373p.

ب . إذا كان المرجع بحثاً منشوراً في مجلة باللغة الأجنبية:

. بعد الكنية والاسم وسنة النشر يضاف عنوان البحث وتتبعه فاصلة، اسم المجلد ويوضع تحته خط وتتبعه فاصلة . المجلد والعدد (كتابة مختزلة) وبعدها فاصلة . أرقام الصفحات الخاصة بالبحث ضمن المجلة.

مثال على ذلك:

BUSSE,E 1980 Organic Brain Diseases **Clinical Psychiatry News** , Vol. 4. 20 – 60

ج. إذا كان المرجع أو البحث منشوراً باللغة العربية فيجب تحويله إلى اللغة الإنكليزية و التقيد

بالبنود (أ و ب) ويكتب في نهاية المراجع العربية: (المراجع In Arabic)

رسوم النشر في مجلة جامعة البعث

1. **دفع رسم نشر (20000) ل.س عشرون ألف ليرة سورية عن كل بحث لكل باحث يريد نشره في مجلة جامعة البعث.**
2. **دفع رسم نشر (50000) ل.س خمسون الف ليرة سورية عن كل بحث للباحثين من الجامعة الخاصة والافتراضية .**
3. **دفع رسم نشر (200) مئتا دولار أمريكي فقط للباحثين من خارج القطر العربي السوري .**
4. **دفع مبلغ (3000) ل.س ثلاثة آلاف ليرة سورية رسم موافقة على النشر من كافة الباحثين.**

المحتوى

اسم البحث	اسم الباحث	الصفحة
ما بقي من كتاب "الحدود" للفرَّاء (ت207ه) "دراسة تحليلية وصفية"	د. محمَّد عبد الله فاطمه يحيى خالد	42-11
الشّخصيّة وتمثّلاتها في روايات ناديا خوست	أ.د. جودت إبراهيم ريم خير الله العلي	94- 43
الميت والعائد من الموت في القصص القصيرة لإدغار آلان بو	د. محمد نهار المزعل ريم محمود	118-95
الاستبداد في روايتي (تحت الأنظار الغربية) و (مزرعة الحيوان)	الدكتور: ابراهيم السماعيل	146-119

160-123		

ما بقي من كتاب "الحدود" للفرَّاء (ت207هـ)

"دراسة تحليلية وصفية"

إعداد الطَّالبة: فاطمه يحيى خالد

جامعة دمشق–كليَّة الآداب

إشراف: د. محمَّد عبد الله

ملخص البحث:

يعدُّ الفرَّاء(207هـ) من أشهر علماء الكوفة وأبرعهم؛ وهو إمامهم بعد الكِسائيّ(189هـ). وكتاب "الحدود" أحد ما صنَّفه الفرَّاء، وقد كان بين أيدي النَّاس والعلماء في زمانه، والزَّمن الَّذي بعده، لكنَّ المصادر تدلُّنا على أنَّ هذا الكتاب لم ينتشر بين أيدي النَّاس؛ ولعلَّ آخر من وقف على هذا الكتاب، ونقل منه ابن مالك. وهذه الدِّراسة تقوم على جمع هذه النُّصوص المتفرِّقة الَّتي وردت في كتاب ابن مالك(ت672هـ) "شرح التَّسهيل"، ومن نقل عن ابن مالك، ومحاولة تنسيقها، وترتيبها، ودراستها، وتحليلها، ومناقشة قضاياها، وربطها بآراء النُّحاة؛ اعتماداً على المنهج الوصفي التَّحليلي.

الكلمات المفتاحية: بقي– من–كتاب –الحدود –الفرَّاء.

Abstract:

Farra(207) is one of the most famous scholars of Kufa and the most brilliant,as it is considered in front of them after Al-Kasai(189) .BOOK the Al-Hudud is one of what he wrote as Al-Farra, it was in the hands of people and scholars in his time and the time after it,but the sources tell us that this book did not spread among the hands of people. And perhaps the last one who stop on this book and transmiited from it Ibn-Malek .This study is based on the collection of these scattered texts that were mentioned in the book of Ibn-Malik(672) "Sharh Al-Tasheel", and it was transferred from Ibn-Mali, and trying to coordinate, arrange, study, analyze and discuss their issues and link them to the opinions of grammariann, depending on the descriptive and analytical approach.

Key words:Left of-From-Book - Al-Hudud-Al-Farra

المقدِّمة:

الفرَّاء علم من أعلام العربيَّة، وإمام من أئمتهم، وقد صنَّف كتباً قيمة وآثاراً عظيمة، منها كتاب "الحدود" ؛ ويعدُّ من أشهر كتبه بعد (معاني القرآن)، وهو من الكتب المفقودة.

وقد اختلف أصحاب كتب التَّراجم في سبب تأليف كتاب "الحدود"، فقيل: إنَّ سبب تأليفه يعود إلى الخليفة المأمون؛ إذ أمر الفرَّاءَ أن يؤلِّف ما يجمع به أصول النَّحو، وما سُمِعَ من العرب، وأمر أن يُفرَد في حُجرة من حُجَر الدَّار، ووكَّل بها جواري وخدماً يقمن بما يحتاج إليه حتَّى لا يتعلَّق قلبه، ولا تتشوَّف نفسه إلى شيء؛ حتَّى إنَّهم كانوا يؤذنونه في أوقات الصَّلاة، وصيَّر له الورَّاقين، وألزمه الأمناء والمنفِقين، فكان يملي والورَّاقون يكتبون، حتَّى صنَّف "الحدود" في سنتين[1].

أمَّا ابن النَّديم(ت438هـ) فذكر سبباً آخر لتأليفه؛إذ يقول: «وقال أبو العبَّاس(ت285هـ): إنَّ السَّبب في إملاء كتاب "الحدود" أنَّ جماعة من أصحاب الكِسائيّ(ت189هـ) صاروا إليه وسألوه أن يملَّ عليهم أبواب النَّحو، ففعل ذلك، فلمّا كان المجلس الثَّالث قال بعضهم لبعض: إن دام هذا على هذا علّم النّحو الصِّبيان، والوجه أن نقعد عنه، فقعدوا، فغَضِبَ وقال: سألوني القعود، فلمّا قعدت تأخّروا، والله لأملينَّ النَّحو ما اجتمع اثنان؛ فأملَّ ذلك ستّ عشرة سنة، ولم يُرَ في يده كتاب إلَّا مرَّة واحدة، أملَّ كتاباً من نسخته»[2].

واختلفوا في عدد الحدود الَّتي اشتمل عليها كتاب الحدود للفرّاء، فأشار

---

(1) انظر:تاريخ بغداد14/149-150،وإنباه الرواة4/16،ووفيات الأعيان8/20، ومرآن الجنان وعبرة اليقظان2/30.

(2) الفهرست99. وعنه في: إنباه الرواة4/12.

الزُّبيدي[1](ت379ه) والقفطي[2](ت646ه)إلى أنَّها ستُّون حدّاً. جاء في كتاب إنباه الرواة: «وكان ثعلب(ت291ه) سَمِعَ كتاب المعاني للفرَّاء من سلمة بن عاصم عن الفرَّاء. والحدود في النَّحو ستُّون حدّاً، سَمِعَها من سلمة عن الفرَّاء أيضاً»[3].

أمَّا السُّيوطي[4](ت911ه) وحاجي خليفة[5](ت1067ه) فقد ذكرا أنَّها ستّة وأربعون حدّاً في الإعراب. ويؤكِّد ذلك ما ذكره البغدادي[6] (ت463ه) في قصيدة لمحمَّد بن الجهم (ت277ه) يمدح فيها الفرَّاء، ويذكر فيها عدد حدوده:

يا طالبَ النَّحوِ التمِسْ عِلمَ ما ألَّفَه الفرَّاءُ في نحوِه
ستِّين حدّاً قاسَها عالِماً أملَّها بالحفظِ من شدوِه

وذكر ابن النَّديم في كتابه[7]أسماء هذه الحدود، وقدَّم لها بعبارة قال فيها: «أسماء الحدود له، نسختُها من خطِّ سلمة بن عاصم، على هذا الترتيب»[8]. وقد نقلها عنه القفطي في إنباه الرواة[9].

وهذه الحدود كما وردت في الفهرست هي: "حدُّ الإعراب في أصول العربيَّة"، "حدُّ النصب المتولِّد من الفعل"، "حدُّ المعرفة والنكرة"، "حدُّ من وربَّ"، "حدُّ العدد"،

---

(1) طبقات النَّحويِّين واللُّغويِّين137.
(2) إنباه الرُّواة57/2.
(3) المصدر السَّالف.
(4) في بغية الوعاة333/2.
(5) في كشف الظُّنون635/1.
(6) تاريخ بغداد154/14.
(7) الفهرست99.
(8) المصدر السالف.
(9) 4/22-23.

"حد ملازمة دخل"، "حدُّ العماد"، "حدُّ الفعل الواقع"، "حدُّ إنَّ وأخواتها"، "حدُّ كي وكيلا"، "حدُّ حتَّى"، "حدُّ الإغراء"، "حدُّ الدُّعاء"، "حدُّ النونين: الشديدة والخفيفة"، "حدُّ الاستفهام"، "حدُّ الجزاء"، "حدُّ الجواب"، "حدُّ الَّذي ومن وما"، "حدُّ ربَّ وكم"، "حدُّ القسم"، "حد التثوية والمثنَّى"(1)، "حدُّ النِّداء"، "حدُّ النُّدبة"، "حدُّ الترخيم"، "حدُّ أنْ المفتوحة"، "حدُّ إذ وإذا وإذاً"، "حدُّ ما لم يسمَّ فاعله"، "حدُّ لو تركت ورأيك"(2)،"حدُّ الحكاية"، "حدُّ التَّصغير"، "حدُّ التَّثنية"(3)، "حدُّ الهجاء"، "حدُّ راجع الذكر"، "حدُّ الفعل الرباعي"، "حدُّ الفعل الثلاثي"، "حدُّ المُعرب من مكانين"، "حدُّ الإدغام"، "حدُّ الهمز"، "حدُّ الأبنية"، "حدُّ الجمع"، "حدُّ المقصور والممدود"، "حدُّ المذكَّر والمؤنَّث"، "حدُّ فعل وأفعل"، "حدُّ النهي"، "حدُّ الابتداء والقطع"، "حدُّ ما يُجرى وما لا يُجرى".

وبعد هذا الاستعراض لأسماء هذه الحدود نلحظ أنَّ كتاب الحدود موضوعه في قواعد العربيَّة من نحو وصرف؛ على أنَّ هذا الكتاب يجمع بين أصول النَّحو، وما سُمِعَ من العربيَّة، فجاء كما طلبه المأمون(4).

ودلَّت هذه الحدود الَّتي ذكرها ابن النَّديم على أنَّ الفرَّاء كان قد عَرَضَ لجميع أبواب النَّحو، وأنَّ له في كلِّ موضوع منها رأياً(5).

وقد كان للعلماء مواقف متباينة من كتاب "الحدود"؛ فمنهم من تنقَّصه وازدراه، ووجده عديم النفع والفائدة، ولم يعترفوا به. جاء في معجم الأدباء: «..أمَّا نحن فلا

(1) في إنباه الرواة4/23: "حدُّ التنزيه والتمني".

(2) سقط هذا الحد من الفهرست، وأثبتُّه من إنباه الرواة.

(3) في إنباه الرواة4/23: "حدُّ النِّسبة". ولعلَّه الأولى.

(4) انظر: أبو زكريا الفرَّاء ومذهبه في النَّحو واللُّغة183.

(5) انظر: مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللُّغة والنَّحو126.

نذكر حدود الفرَّاء؛ لأنَّ خطأه فيه أكثر من أن يُعَدُّ»[1].

وبعضهم الآخر من العلماء –ومنهم ثعلب– حَفِظوا هذا الكتاب؛ قال ثعلب: «وابتدأتُ بالنَّظر في "حدود الفرَّاء" وسنِّي ثماني عشرة سنة، وبلغتُ خمساً وعشرين سنة وما بقي عليَّ مسألة للفرَّاء إلَّا وأنا أحفظها، وأحفظ موضعها من الكتاب، ولم يبقَ شيء من كتب الفرَّاء في هذا الوقت إلَّا وقد حفظته»[2].

ولكن بعض المحدثين ذكروا أنَّ الكتاب مفقود، ولم ينتشر بين أيدي النَّاس، وقد أشار إلى ذلك محقِّق كتاب المقصور والممدود للفرَّاء "ماجد الذَّهبي" أنَّ كتاب "الحدود" في ضمير الغيب[3]، ونصَّ المختار أحمد ديره أنَّ كتاب "الحدود" من الكتب المفقودة حتَّى اليوم[4].

ولعلَّ آخر من وقف على الكتاب هو ابن مالك، الَّذي حَفِظَ لنا بعضاً من نصوصه، تناقلها شرَّاح التَّسهيل أو بعض من اطَّلع من العلماء على كتاب شرح التَّسهيل لابن مالك(ت672ه). ومن هؤلاء الَّذين نقلوا عن ابن مالك في كتابه "شرح التَّسهيل" أبو حيَّان(ت745ه) في كتابيه "التَّذييل والتَّكميل" و"ارتشاف الضَّرب"، وابن عقيل(ت769ه) في كتابه "المساعد"، وناظر الجيش(ت778ه) في كتابه "تمهيد القواعد".

فشرَّاح التَّسهيل نقلوا بعضاً من نصوص الفرَّاء عن ابن مالك دون أن يزيدوا على هذه النُّصوص نصّاً واحداً؛ فهذا دليلٌ على أنَّهم لم يطَّلعوا على الكتاب.

وقد صرَّح ابن مالك ومن نقل عنه بالنَّقل عن الفرَّاء؛ إذ كانوا ينقلون عنه

---

(1) 56/1.

(2) انظر: معجم الأدباء2/ 542.

(3) مقدمة تحقيق المقصور والممدود للفرَّاء18.

(4) دراسة في النحو الكوفي من خلال معاني القرآن للفرَّاء88.

باسمه وباسم كتابه؛ نحو: "قال الفرَّاء في كتاب الحدود"[1].

ومن الجدير بالذِّكر أنَّ ابن مالك وشرَّاح التَّسهيل كانوا يحددون أحياناً نهاية النَّقل، دون أن يُحدِّدوا بدايته، ومثاله: "... ذكر ذلك كلَّه الفرَّاء"[2].

أهميّة البحث وأهدافه:

تنبع أهمية هذا البحث من كونه يشتمل على نصوص من كتاب مفقود نقلها ابن مالك ومن نقل عنه.

وتتمثل أهداف البحث في جمع هذه النُّصوص، والنَّظر فيها، وتبيُّن مادتها أو شواهدها، أو السَّبب الَّذي دعا ابن مالك وغيره إلى نقلها.

وقد حاول البحث الإجابة عن بعض التَّساؤلات، ولعلَّ أبرزها:

1-هل النُّصوص الَّتي يذكُرها الفرَّاء عبارة عن آراء وأحكام النُّحاة أم هي شواهد وأقوال عن العرب؟

2-هل هذه النُّصوص ذكرها آخرون أم انفرد بها الفرَّاء؟

3-هل كانت هذه النُّصوص من المألوف المعتاد أم من الغريب الشَّاذ؟

منهج البحث:

اتَّخذ البحث المنهج الوصفيّ المشفوع بالتَّحليل أداةً له للعرض والمعالجة.

الدِّراسات السَّابقة:

لم أجد -فيما بحثتُ عنه واطَّلعتُ عليه- من درسَ النُّصوص الَّتي بقيت من كتاب "الحدود" للفرَّاء.

النُّصوص الَّتي وقفتُ عليها في شرح التَّسهيل، والتَّذييل والتَّكميل، والمساعد،

---

(1) انظر: المساعد2/452.

(2) انظر مثلاً: تمهيد القواعد3/1072.

وتمهيد القواعد:

النَّص الأوَّل:

قال أبو حيَّان في باب الأفعال الرَّافعة الاسم النَّاصبة الخبر:«**وقال الفرَّاء في كتاب الحدود: "يجوزُ أن يُقدَّم نفي "زالَ" على "ظنَّ" وأخواتها، فيقال: لا أظنُّك تزالُ تقولُ ذلك. وكذلك ما أظنُّك تبالي بشدَّة، معناه: أظنُّك ما تبالي**"»[1].

دراسة وتحليل:

يدور النَّص السَّابق حول فكرة تقديم حرف النَّفي لـ "زال" على "ظنَّ" وأخواتها.

فأبو حيَّان في معرض حديثه عن جواز الفصل بين حرف النفي والفعل النَّاقص ساق كلام الفرَّاء؛ ليؤيِّد صحة مذهبه ويدعم رأيه.

أجاز الفرَّاء تقديم حرف النَّفي على الفعل السَّابق لـ "زال"؛ واشترط لجواز الفصل أنْ يكون الفاصل الفعل "ظنَّ" وأخواتها؛ واستدلَّ على كلامه بقول العرب: "لا أظنَّك تزالُ تقولُ ذلك".

ومنه أيضاً قول العرب: "ما أظنُّك تبالي بشدَّة"، معناه: أظنُّك ما تبالي. وقد ساق هذا الشَّاهد ليستدلَّ به على أنَّ حرف النَّفي؛ وإنْ قُدِّم، فهو متَّصل بالفعل "تبالي" تقديراً.

وعقَّب ابن مالك على كلام الفرَّاء بأنَّ النَّفي المفصول بالفعل، ومعمولاه خبر، فنفيهُ متَّصلٌ بـ "يزال" تقديراً؛ كقولك: ما عبدُ الله يزالُ محسِناً، يريد: عبدُ الله ما يزالُ محسِناً[2].

فابن مالك يرى أنَّ حرف النَّفي؛ وإن فُصِل عن الفعل النَّاقص "زال" بفاصل الفعل، ومعمولاه خبر، فهو متَّصل به تقديراً. وعلى هذا الرأي يكون ابن مالك قد وافق الفرَّاء من حيث جواز تقديم حرف النفي لـ "زال" والفصل بينهما، وأنَّ حرف النَّفي متَّصل بالفعل النَّاقص "زال" تقديراً.

---

(1) التَّذييل والتكميل4/121.

(2) لم أقف على رأيه في شرح التَّسهيل، لكن ساقه أبو حيَّان. انظر: المصدر السَّالف.

ونقل ناظر الجيش عن ابن مالك تعقيبه على كلام الفرَّاء؛ إذ قال:« فالنفي المفصول بـ "ظنّ" وإحدى أخواتها متَّصل تقديراً، وكذا المفصول بما الفعل ومعمولاه خبر؛ كقولك: ما عبد الله زال محسناً؛ لأن المعنى: عبد الله ما زال محسناً، فالنفي متَّصل بـ"زال" تقديراً»[1].

وهكذا نجد أنَّ أبا حيَّان نقل كلام الفرَّاء ليدعم رأيه ويقوي مذهبه، بجواز الفصل بين حرف النَّفي والفعل "زال".

النَّص الثَّاني:

قال ناظر الجيش في باب ورود بعض الأفعال بمعنى "صار":« **وذكر الفرَّاء في كتاب "الحدود": "أنَّ "أسحرَ وأفجرَ وأظهرَ" مساوية لـ "أصبح وأمسى وأضحى"**»[2].

دراسة وتحليل:

يدور النَّص السَّابق حول جعل "أسحر وأفجر وأظهر" من باب "أصبح" وأخواتها.

وقد نقل ناظر الجيش كلام الفرَّاء أثناء حديثه عن الأفعال الملحقة بـ "صار".

فـ"أصبح" و"أمسى" و"أضحى" هي أفعال ذكر لها النُّحاةُ ثلاثة معانٍ:

الأوَّل: أنْ تدخل على المبتدأ والخبر؛ لإفادة زمانها في الخبر، فإذا قلتَ: أصبحَ زيدٌ عالماً، وأمسى الأميرُ عادلاً، وأضحى أخوك مسروراً، فالمراد: أنَّ عِلمَ زيدٍ اقترنَ بالصَّباح، وعدلَ الأميرِ اقترنَ بالمساء، وسرورَ الأخِ اقترنَ بالضحى.

الثَّاني: أنْ تكون تامَّة تُجتزَأ بمرفوعٍ لا غير، ولا تحتاج إلى منصوب؛ أي: أصبحنا، وأمسينا، وأضحينا؛ أي: دخلنا في هذه الأوقات، وصرنا فيها.

ومنه قولهم: "أفجرنا"؛ أي: دخلنا في وقت الفجر، قال الشَّاعر[1]:

---

(1) في تمهيد القواعد1075/3.

(2) انظر: تمهيد القواعد1108/4.

فما أفجَرَت حتَّى أَهَبّ بسُحْرَةٍ عَلاجِيمَ عينِ ابني صُباحٍ نَثِيرُها

الثَّالث: أنْ تستعمل بمعنى "كان"، و"صار" من غير أنْ يقصد بها إلى وقتٍ مخصوصٍ؛ نحو قولك: أصبحَ زيدٌ فقيراً، وأمسى غنياً، تريدُ به أنَّه صار كذلك مع قطع النَّظر عن وقتٍ مخصوصٍ. ومنه قول عُدي بن زيد[2](ت35هـ):

ثُمَّ أَضحَوا كأنَّهم ورقٌ جَـ م فَّ فألْوَتْ به الصَّبا والدَّبورُ

يريدُ أنَّهم صاروا إلى هذه الحال[3].

فهذه الأفعال الثَّلاثة تستعمل بمعنى "صار"؛ لأنَّ المعنى فيها يدلُّ على التَّحوُّل والانتقال من حال إلى حال[4].

فالفرَّاء يريد أنْ يعامل الأفعال ("أسحر" و"أفجر" وأظهر") معاملة ("أصبح" و"أمسى" و"أضحى)، من حيث دلالتها على الوقت، وعملها برفع الاسم ونصب الخبر.

---

(1) البيت لذي الرُّمَّة في ديوانه بشرح الباهلي246

وبلا نسبة في اللِّسان((فجر)).

أفجرت: صارت في الفجر وأصبحت. أهبَّ: أيقظ. السُّحرة: آخر الليل. العَلاجِيم: وهي الضَفادِعُ، واحدها عُلجوم. صُباح: رجل من بني ضبَّة. عن الدِّيوان.

(2) في ديوانه90، والمفصَّل353.

ألوَتْ به: نثرته. الصَّبا والدَّبور: ريحان.

(3) انظر: شرح المفصَّل4/354-356.

(4) ثمَّة أفعال أخرى أُلحِقت بـ "صار"؛ نحو:(آض، عاد، آل، رجع، حار، استحال، تحوَّل، ارتدَّ). انظر: شرح التسهيل لابن مالك1/244-245.

وتعقَّب أبو حيَّان[1] نصَّ الفرَّاء، واعترض عليه؛ لأنَّه لم يذكر على ذلك شاهداً. وهذا يدلُّ على أنَّ الفرَّاء اعتمد في نصِّه على القياس ، وليس على السَّماع.

فالأفعال "أسحر" و"أفجر" وأظهر" هي أفعالٌ تامَّة، ولا يُمكن أن تكون من باب "أصبح" و"أمسى" و"أضحى" من حيث الدِّلالة والعمل كما رأى الفرَّاء؛ لعدم ورود شواهد في العربيَّة تدلُّ على إفادتها معنى "صار"؛ في حين ورد شواهد على استعمالها تامَّة[2]؛ وعلى هذا يعرب المنصوب بعدها حالاً.

ويبدو لي أنَّ نصَّ الفرَّاء الَّذي نقله ناظر الجيش يعدُّ من باب الغريب الشَّاذ، وقد تفرَّد في رأيه، ولم أجد من وافقه من العلماء.

النَّص الثالث:

قال ناظر الجيش في باب أحوال الخبر في جملة هذه الأفعال من التَّوسط أو التَّقدُّم:« "**منع الفرَّاء مطلقاً تقديم خبر** "**زال**" **وأخواتها، فلا يُجِيزُ: "عالماً لم أزل"، ولا "عالماً مازلتُ"، وكذا لو نفيتَ بـ "لن" أو "أنْ"** ذكرَ ذلك في كتاب الحدود»[3].

---

(1) انظر: الارتشاف1148/3.

(2) جاء في اللِّسان "سحر":أسحر القوم: صاروا في السَّحر؛ كقولك أصبحوا، وأسحروا، واستحروا: خرجوا في السَّحر. واستحرنا: أي: صرنا في ذلك الوقت.

وفي "ظهر": يقال: أظهرت يا رجل: إذا دخلت في حدِّ الظُّهر، وأظهرنا: دخلنا في وقت الظُّهر؛ كأصبحنا، وأمسينا في الصباح والمساء.

وفي "أفجر": أفجروا: دخلوا في الفَجر، كما تقول: أصبحنا، من الصُّبح. وفي كلام بعضهم: كنتُ أُحِلُّ

إذا أسحَرت، وأرحلُ إذا أفجرتُ.

(3) تمهيد القواعد1119/3.

دراسة وتحليل:

يدور النَّص السَّابق حول مسألة تقديم خبر "مازال" وأخواتها عليها، وهذه المسألة خلافية بين النُّحاة، ولهم فيها ثلاثة مذاهب:

الأوَّل: أجاز الكوفيُّون خلا الفرَّاء تقديم خبر "ما زال" وأخواتها عدا "ما دام" عليها مطلقاً، سواء أكان حرف النفي "ما" أو غيره. ووافقهم ابن كيسان(ت299ه) والنَّحَّاس[1](ت338ه).

الثَّاني: منع الفرَّاء تقديم خبر "ما زال" وأخواتها عليها مطلقاً، بأيٍّ حرفٍ كان[2].

الثَّالث: منع البصريُّون تقديم خبر "مازال" وأخواتها عليها؛ إنْ كان حرف النفي "ما"، وأجاز التَّقديم في غيرها من أدوات النَّفي[3]. ووافقهم ابن مالك[4]، ورجَّحه ابن الأنباري[5] (ت577ه).

واحتجَّ البصريُّون لمذهبهم بأنَّ "ما" حرف نفي، وحرف النَّفي له صدر الكلام، فجرى مجرى أدوات الاستفهام في أنَّ لها صدر الكلام. أضف إلى ذلك أنَّ الحرف إنَّما جيء به لإفادة معنى في الاسم والفعل، فينبغي أن يأتي قبلهما، لا بعدهما، وكما أنَّ حرف الاستفهام لا يعمل ما بعده فيما قبله، فكذلك ها هُنا.

أمَّا حُجَّة الكوفيِّين بأنَّ "ما زال" ليس بنفي للفعل، وإنَّما هو نفي لمفارقة الفعل، وبيان صوابه بأنَّ الفاعل حاله في الفعل متطاولة، والَّذي يدلُّ على أنَّه ليس بنفي أنَّ "زال" من معنى النَّفي، و"ما" للنفي، فلمَّا دخل النَّفي على النَّفي صار إيجاباً[6].

---

(1) انظر: الإنصاف134، والتَّذييل والتَّكميل176/4.

(2) انظر رأيه في: التَّذييل والتَّكميل176/4.

(3) انظر :الإنصاف134، وشرح المفصَّل368/4، والتَّذييل والتَّكميل176/4.

(4) شرح التَّسهيل351/1.

(5) الإنصاف137.

(6) انظر: الإنصاف134- 136.

فالفرَّاء يرى أنَّ "ما" و"إن" و"لم" و"لا" النَّافيات لها حكمٌ واحد في عدم جواز تقديم خبر "زال" وأخواتها على حرف النفي، وقد استدلَّ على صحة مذهبه؛ بالمثالين: "عالماً لم أزل"، و "عالماً ما زلتُ". وإذا منع تقدَّم الخبر عليها، فمن البديهي أن يمنع تقدُّم معمولها أيضاً.

فالواضح أنَّ الفرَّاء قد اعتمد في حكمه هذا على السَّماع.

وعقَّب ناظر الجيش على كلام الفرَّاء، فلم يرتضِه؛ إذ رأى أنَّ دليل الفرَّاء على منع تقديم خبر "مازال" وأخواتها ضعيف(1).

ولعلَّ ناظر الجيش ضعَّف الدَّليل الَّذي جاء به الفرَّاء؛ لأنَّه وجد أنَّ هناك شواهد شعرية ونثرية تدلُّ على جواز تقديم خبر "مازال" عليها.

وردَّ ابن هشام(2)(ت761هـ) مذهب الفرَّاء مستدلّاً على ذلك بقول الشَّاعر(3):

..... على السِّنِّ خيراً لا يزالُ يَزيدُ

فالشَّاهد فيه: "خيراً لا يزال يزيد"، ووجه الاستشهاد: تقدُّم معمول خبر لا يزال "خيراً" على "لا يزال" نفسها، وتقدُّم المعمول يتبعه تقدُّم العامل؛ لأنَّ الأصل في المعمول أن يقع بعد عامله(4).

ومن شواهد تقدُّم خبر النَّاسخ على "زال" وأخواتها عدا "دام" قول الشَّاعر(5):

مَهْ عاذِلي فهائِماً لنْ أبرحا بِمِثْل أو أحسَن من شمس الضُّحى

---

(1) تمهيد القواعد1119/3.

(2) أوضح المسالك247/1.

(3) وصدره: ورجِّ الفتى للخير ما إنْ رأيته

قائله المعلوط القريعي، وهو في:المقاصد النحوية591/2.وهو بلا نسبة في المسائل الحلبيات268، والمساعد279/1.

(4) انظر: شرح الأشموني233/1.

(5) البيت بلا نسبة، وهو في: شرح الأشموني233/1، وحاشية الخضري263/1.

فالشَّاهد فيه: "فهائماً لن أبرحا"، ووجه الاستشهاد: تقدُّم خبر لن أبرحَ "هائماً" على حرف النَّفي "لن".

ففي هذين البيتين ردٌّ على الفرَّاء، ومن ذهب مذهبه، ممن يَرون أنَّ خبر النَّاسخ المنفي بحرف من حروف النفي، لا يجوز أن يتقدَّم على ذلك الفعل.

وهكذا نجد أنَّ الفرَّاء قد تفرَّد في رأيه، فلم يوافق البصريِّين ولا الكوفيِّين.

النَّص الرابع:

قال أبو حيَّان في باب الأفعال الرافعة الاسم النَّاصبة الخبر: «"**والمنفي بـ"قل"؛ نحو: قلَّما يزالُ عبدُ الله يذكرك؛ لأنَّ "قلَّما يزالُ" بمعنى: "ما يزالُ". وما يقع بعد "أبيتُ"؛ نحو: أبيتُ أزالُ مستغفراً لله، بمعنى: لا أزالُ.**

وقول العرب: "لا ينشأ أحدٌ ببلدٍ، فيزالُ يذكره"، معناه: إذا نشأ أحدٌ ببلد لم يزل يذكره". ذكر ذلك كلَّه الفرَّاء في كتاب الحدِّ. ومن أمثلته فيه: ما يعترينا أحدٌ فنزالُ نعينُه، وقال: ألا ترى أنَّ المعنى: إذا اعترانا أحدٌ لم نزلْ نعينُه»[1].

دراسة وتحليل:

يدور النَّص السَّابق حول مسألتين: الأولى: جواز أن يُسبَق الفعل النَّاقص "زال" بغير "لا". والثَّانية: جواز الفصل بين حرف النَّفي وبين "زال" النَّاقصة. ومن المعروف أنَّ "زال" من الأفعال الَّتي تدخل على الجملة الاسمية، فترفع المبتدأ ويُسمَّى اسمها، وتنصب الخبر ويُسمَّى خبرها. واشترط النُّحاة لعملها أنْ تُسبق بنفي لفظاً أو تقديراً أو شبه نفي[2].

وأبو حيَّان ساق كلام الفرَّاء ليحتجَّ به على إمكانية أن يقع المنفي للفعل النَّاقص بغير "لا".

وأجاز الفرَّاء أن يقع المنفي بغير "لا"؛ كأن يكون بالفعل المستعمل بالنَّفي؛ وإن لم يكن موضوعاً له؛ كالمنفي بـ "قلَّما"؛ واحتجَّ على كلامه بقول العرب: قلَّما يزالُ

---

(1) التذييل والتكميل 119/4.

(2) انظر: شرح ابن عقيل 263/1.

عبدُ الله يذكرك، فـ "قلَّما" هنا بمعنى "ما" النافية؛ أو أن يُسبق الفعل الناقص "زال" بالفعل "أبيتُ"، وأكَّد كلامه بقول العرب: أبيتُ أزال مستغفراً لله، بمعنى: لا أزالُ.

وأجاز الفرَّاء أيضاً الفصل بين حرف النَّفي "لا" والفعل النَّاقص "زال"، على تقدير أن يكون المنفي قبل "زال" ، واستدلَّ على كلامه بقولَ العرب[1]: "لا ينشأ أحدٌ ببلدٍ، فيزال يذكره"؛ فذكر أنَّ معناه: إذا نشأ أحدٌ ببلدٍ لم يزل يذكره. وقد اعتمد في نصِّه على السَّماع.

فالفرَّاء هنا قدَّر حرف النفي قبل "زال"، وهذا من باب النفي المقدَّر، ومثله قوله تعالى:﴿تالله تفتأُ تذْكُر يُوسُف﴾ [يوسف:85]، معناه: لا تفتأ.

فأبو حيَّان أورد كلام الفرَّاء من غير أن يعقِّب عليه؛ مِمَّا يوحي بموافقته للفرَّاء، أو أنَّ كلامه جدير بالقبول أو الذِّكر.

وذهب ابن مالك، وابن هشام، والسُّيوطي(ت911هـ) وغيرهم[2] مذهب الفرَّاء في جواز الفصل بين حرف النفي والفعل النَّاقص "زال"، وأكَّدوا كلامهم بقول الشَّاعر[3]:

ولا أراها تزالُ ظالمةً تُحدِثُ لي قرحةً وتَنكؤُها

ففُصِل بين حرف النَّفي "لا" والفعل الناقص "تزال" بـ "أراها، والمعنى: لا أراها.

وأشار الفرَّاء في معاني القرآن إلى أنَّ العرب قد تقدِّم حرف النَّفي من آخر الكلمة إلى أوَّل الكلمة، واستشهد بالقرآن والشِّعر؛ إذ قال في تفسير قوله تعالى: ﴿الله الَّذي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيرِ عَمَدٍ تَرَوْنَها﴾ [الرعد:2] «جاء فيه قولان: يقول: خلقها مرفوعةً بلا عمدٍ تَرونها، لا تحتاجون مع الرؤية إلى خبر. ويقال: خلقَها

(1) التَّذييل والتَّكميل119/4 ،والارتشاف1160/3.

(2) انظر: شرح التَّسهيل335/1، ومغني اللَّبيب513، وهمع الهوامع66/2.

(3) البيت لإبراهيم بن هرمة، وهو في: ديوانه48،وشرح أبيات مغني اللَّبيب203/6. وبلا نسبة في: شرح التَّسهيل535/1، ومغني اللَّبيب513.

بعمدٍ لا تَرونَها؛ أي: لا تَرون تلك العُمد. والعرب قد تقدِّم الجَحد من آخر الكلمة إلى أولها، فيكون ذلك جائزاً. قال الشَّاعر[1]:

ولا أراها تزالُ ظالمةً تَحدِث لي قرحةً وتَنكؤُها

ومعناها: أراها لا تزال»[2].

ووافقه في تفسير الآية الزَّجَّاج(ت311ه)، والنَّحَّاس، وغيرهما[3].

وللمبرِّد رأيٌ آخر مخالف للفرَّاء؛ إذ رأى أنَّ "لا" المذكورة في البيت السَّابق، قد أغنت عن إعادتها[4]، واحتجَّ لذلك بقول الشَّاعر عمر بن أبي ربيعة[5] (ت93ه):

لعمرُك ما أدري وإن كنتُ دارياً بسبعٍ رمينَ الجَمْرَ أم بثمانِ

يريد: أبسبعٍ، فدلَّت "أم" على ألف الاستفهام.

وردَّ عليه ابن السِّيد(ت444ه) بقوله:« ليس الأمر كما ذكر؛ لأنَّه لو أعاد لاستحال المعنى إلى ضده، وكان معناه لزوم الظُّلم عنها، ودوامه منها، وإنَّما معناه أنَّ "تزال" لمَّا كانت مع ما عملت فيه حدثاً عن الضمير في "لا أراها"، كانت مع ما عَمِلَت فيه. وكان التأويل: ولا أراها منفكَّة من الظُّلم، وتاركة له، وساوت هذه العبارة في الدِّلالة قوله: "ولا أراها تزال ظالمة"»[6].

---

(1) تقدَّم تخريجه.

(2) معاني القرآن له57/2.

(3) انظر:معاني القرآن للزَّجَّاج136/3، وللنَّحّاس281/5،

(4) الكامل له 793.

(5) في ديوانه209 برواية:

فو الله ما أدري وإنِّي لحاسبٌ بسبعٍ رميتُ الجمر أم بثمانِ

وفي الكتاب175/3، والمفصَّل438.

(6) القرط على الكامل518.

فابن السِّيد يرى أنَّ ما ذهب إليه المبرِّد غير صحيح؛ لأنَّها لو كُرِرت "لا" قبل "تزال" لانقلب المعنى إلى ضده؛ لأنَّ دخول النفي على النفي إثبات[1].وليس هذا المراد من الشَّاهد.

وتعجَّب البغداديُّ (ت1093هـ)من كلام المبرِّد؛ إذ رأى أنَّ شرط إعمال "زال" أنْ يتقدَّمها نفي؛ ليفيد نفي النفي الدَّوام والاستمرار، والضمير في "أراها" إنَّما هو لسُليمى، والنفي في التقدير ملاصق لـ "تزال"، فغايته أنَّه اعترض بجملة "أراها" بين "لا" وبين "زال"[2].

وقال ابن السِّيد موضحاً مراد كلام المبرِّد: «يريد أبو العباس[3] أنَّ "زال" لا تستعمل دون حرف نفي، ولا يجوز: زالَ زيدٌ قائماً، فكان يجب أن يقول: لا تزالُ ظالمةً، غير أنَّه لما زاد "لا" في أول البيت، اكتفى بها عن تكرارها؛ وكأنَّ الشَّاعر أراد: وأراها لا تزالُ، فزاد "لا"؛ كزيادتها في قوله تعالى: ﴿ما منعَكَ ألَّا تَسْجُدَ﴾ [الأعراف: 12]. وقد حُكِيَ أنَّ من العرب من يقول: زالَ زيدٌ قائماً. فعلى هذا يكونُ البيت صحيحاً لا حذف فيه، ولا ضرورة»[4].

ووصف البغداديُّ كلام ابن السِّيد بأنَّه فاسد؛ لأنَّ كلامه يقتضي زوال ظلمها للشَّاعر؛ وإنَّما مراده أنَّ ظلمها له متَّصلٌ، مستمرٌ لا يزول[5].

وخلاصة القول: إنَّ أبا حيَّان حكى كلام الفرَّاء ليدعم رأيه فيما ذهب إليه، لا سيَّما أنَّ الفراء هو من أئمة النُّحو الَّذين يُحتجُّ بآرائهم.

النَّص الخامس:

(1) انظر: الأصول184/2، والخصائص466/2.

(2) شرح أبيات مغني اللَّبيب222/6.

(3) يعني المبرِّد.

(4) انظر: القرط على الكامل518.

(5) شرح أبيات مغني اللَّبيب222/6.

قال ابن مالك في باب العدد في كلامه على اللَّفظ "أحد": «**ولا يكون إلَّا بعد نفي محض؛ نحو:﴿ولم يكن له كفواً أحد﴾ [الإخلاص:4] أو ما يشبه النّفي المحض؛ نحو قوله تعالى: ﴿هل تُحِسُّ منهم مِنْ أحَدٍ﴾ [مريم:98]، ونحو: قلَّما يقول ذلك أحدٌ إلَّا زيدٌ، وليتني –أسمعُ أحداً يتكلَّم؛ لأنّ المعنى: لا أسمعُ أحداً يتكلَّمُ، ذكره الفرَّاء في كتاب الحدِّ.**

وأشرتُ بشبه النَّهي إلى قول الفرَّاء في كتاب الحدِّ: "لأضرِبنَّ أحداً يقولُ ذلك"»[1].

دراسة وتحليل:

يدور النص السَّابق حول اختصاص "أحد" بعموم من يَعقل. وقد ذكر النُّحاة أنَّ مادته من (الهمزة والحاء والدَّال)، وليس مشتقّاً من الوحدة، وهو مخالف لـ"أحد" بمعنى "واحد" مادةً ومعنًى واستعمالاً[2].

فـ"أحد" تستخدم للعاقل على سبيل الإحاطة والشُّمول، لا على سبيل الخصوص، ولذلك قال ابن مالك: «لا يُراد بـ "أحد" في نحو: "ما فيها أحد" إلَّا من يَعقل على سبيل الشُّمول والإحاطة؛ ولذلك لا يُثنَّى ولا يُجمع ولا يُؤنَّث ولا يُعرَّف؛ لأنَّه قصد به حالة واحدة، فاستُغنِيَ عن علامة تدلُّ على غيرها»[3].

واشترط الفرَّاء لإفادتها معنى الإحاطة والشُّمول أن تقع بعد نفي محض، أو شبهه، أو نهي محض، أو شبهه[4]، وضرب على ذلك شواهد قرآنية وأمثلة عامَّة؛ وقد تقدَّم ذكرها. فمعنى قوله: "قلَّما يقول ذلك إلَّا زيدٌ"؛ أي: لا يقول ذلك أحدٌ إلَّا زيدٌ.

---

(1) شرح التَّسهيل2/405-406.

(2) انظر: التَّذييل والتَّكميل9/333.

(3) شرح التَّسهيل2/405.

(4) انظر رأيه في: شرح التسهيل2/405-406.

وعقَّب ابن مالك على كلام الفرَّاء بقوله: «وقيَّدت المنفي بالمحض احترازاً من "أليس"، و"مازال"»[1].

فالنَّفي المحض يقابله النَّفي غير المحض؛ كأن يكون بمعنى الإثبات؛ نحو: مازالَ محمَّد يطلب العِلم، فالنَّفي هنا غير محض؛ لأنَّه بمعنى الإثبات، ومن غير المحض أيضاً "أليس"، وما كان منتقضاً بـ إلَّا.

ويدخل تحت النَّفي المحض النهي والاستفهام.

واستدلَّ الفرَّاء على شبه النَّهي بقول العرب: "لأضرِبنَّ أحداً يقول ذلك". وعقَّب عليه ابن مالك بقوله: «وساقَهُ مساقاً يُشعِرُ بِشُهرَتِه، والمعنى فيه: لا يَقُلْ أحدٌ ذلك».

فابن مالك يرى أنَّ الفرَّاء ساق كلامه سوقاً؛ كأنَّه من المعلوم من النَّحو بالضرورة، وأنَّه لا يحتاج إلى شرح، فقام هو بشرحه وتوضيحه.

وصرَّح سيبويه أنَّ "أحد" لا يقع في الإيجاب؛ إذ يقول: «ولا يجوز لـ "أحد" أن تضعه في موضع واجب، لو قلت: "كان أحدٌ من آل فلان" لم يجز؛ لأنَّه إنَّما وقع في كلامهم نفياً عاماً»[2].

وأجاز المبرِّد[3] مجيئها بعد إيجاب عند العموم؛ واستدلَّ على ذلك بقوله: جاء كلُّ أحدٍ[4]. فـ "أحد" هنا بمعنى واحد، و "كلّ" أفادت الشُّمول، ووقعت بعد كلامٍ موجب.

(1) شرح التَّسهيل2/406.

(2) الكتاب1/54-55.

(3) الانتصار لسيبويه على المبرِّد53

(4) انظر: التَّذييل والتَّكميل9/335.

ونقل أبو حيَّان عن المبرِّد أنَّ "أحد" وُضِعَ في العموم، فيصلح في كلِّ موضع عام، فتقول: "كلُّ أحدٍ يفعلُ كذا؛ لأنَّه عام؛ ولا تقول: قامَ أحدٌ؛ لأنَّه لا يُتصوَّر العموم هنا[1].

وقد ردَّ السِّيرافي(ت368ه) كلام المبرِّد، وعلَّل ذلك بأنَّ وقوع "أحد" موقع كلِّ اسم في معنى الجماعة، ليس ذلك بمشهور من كلام العرب، ولا يكاد أحد يعرف "جاءني كلُّ أحدٍ"؛ وإنْ صحَّت الرِّواية، جاز أن يكون "أحد" في معنى واحد[2].

وعقَّب ابن ولَّاد(332ه) على كلام المبرِّد؛ إذ قال: «قول محمَّد: إنَّ "أحد" يقع في الإيجاب إذا كان واحداً في معنى جميع، يلزمه أن يقول: جاءني مئةُ أحدٍ، ولقيتُ عشرين أحداً، فهذا واحدٌ في معنى جميع، وليس يُجيزه أحدٌ، فقد دلَّ ذلك على فساد رأيه»[3].

فابن ولَّاد يرى أنَّ "أحد" إذا صحَّ وقوعها في كلِّ موضع يكون بمعنى الجماعة، جاز أن تقع بعد ألفاظ العقود، فإذا لم يصحّ دلَّ على فساد كلامه.

النَّص السَّادس:

قال أبو حيَّان في باب حروف الجرِّ سوى المستثنى بها: «**قال الفرَّاء في كتاب الحدود:"حتَّى" خافضة لنيابتها عن "إلى"، كما في "واو" القسم لنيابتها عن الباء، وواو "رُبَّ". وربَّما أظهروا "إلى" في بعض المواضع، قالوا: "جاءَ الخيرُ حتَّى إلينا"، وجمعوا بينهما بتقدير إلغاء أحدهما. وقد يجمعون بين الحرفين؛ إذا اختلف اللَّفظان، فيقولون: رأيتُك من غير لا فحشٍ ولا ريبةٍ، وقالوا: "جئتُ لكي تقومَ"، فجمعوا بين اللَّام وكي، وأنشدني أبو ثروان**[4]:

أرادت لكيما لا ترى لي غفلةً ومن ذا الَّذي يُعطى الكمالَ فيكمل

---

(1) انظر: المصدر السَّالف.

(2) شرح كتاب سيبويه319/1.

(3) الانتصار لسيبويه على المبرِّد53.

(4) لم أقف على قائله، وهو في: همع الهوامع101/4 ، وخزانة الأدب514/8.

وقد جمعوا بين ثلاثة أحرف لمعنى، أنشدني الكِسائيُّ:

أردتُ لكيما أنْ تطيرَ بقربتي فتتركها شنّاً ببيداء بَلْقَع[1]

وأنشدني بيتاً فيه[2]:

لا إنْ ما رأيت

جمعَ بين ثلاثةِ أحرفٍ للجحد"»[3].

دراسة وتحليل:

يظهر لي من خلال النَّص السَّابق أنَّه يجمع ثلاث مسائل؛ الأولى: نيابة "حتَّى" عن "إلى"، وإمكانية الجمع بينهما. الثَّانية: جواز الجمع بين حرفين إذا اختلفا في اللَّفظ، واتَّفقا في المعنى. الثَّالثة: جواز الجمع بين ثلاثة أحرف مختلفة لفظاً، ومتَّفقة معنًى.

وأورد أبو حيَّان كلام الفرَّاء عند حديثه عن مجيء "حتَّى" جارَّة.

فـ"حتَّى" تكون حرف جرٍّ، تجرُّ الاسم الَّذي بعدها، ويدلُّ عليها أنَّه يصحُّ لنا أن نحذفها ونضع مكانها حرف الجرِّ "إلى" مع استقامة المعنى، وقد جاءت جارَّة للاسم الصَّريح في قوله تعالى:﴿سلامٌ هي حتَّى مطلعِ الفجر﴾ [القدر:5]؛ إذ جرَّت كلمة "مطلع" بـ"حتى"، والمعنى: سلامٌ هي إلى مطلع الفجر.

ويرى الفرَّاء أنَّ "حتَّى" هي حرف جرٍّ، تفيد انتهاء الغاية؛ لذلك تنوب عن "إلى" الجارَّة، كما تنوب "واو القسم" عن الباء، وواو "رُبَّ" اللَّتين تفيدان معنى القسم.

وأجاز الفرَّاء في بعض المواضع الجمع بينهما؛ أي: بين النَّائب "حتَّى" والمنوب عنه "إلى"، واستدلَّ على كلامه بقول العرب: جاء الخير حتَّى إلينا. فخرَّج

---

(1) لم أقف على قائله، وهو في: معاني القرآن للفرَّاء262/1، وشرح الأشموني334/1.

الشَّن: القربة البالية .والبيداء: الصَّحراء. والبلقع: هي الأرض القفر الَّتي لا شيء فيها.

(2) لم أقف على قائله أيضاً، وهو في: معاني القرآن للفرَّاء262/1 برواية: لا ما إنْ رأيتُ مثلك.

(3) التَّذييل والتَّكميل241/11.

هذا القول على تقدير حذف أحدهما؛ والأرجح هو حذف الأوَّل؛ لاستقامة المعنى. ولم أقف فيما اطلعتُ عليه في كتب النُّحاة على من ذهب مذهبه، ووافقه أو خالفه.

وذهب بعض النُّحاة[1]، ومنهم الفرَّاء[2] إلى أنَّه يجوز اجتماع حرفين بشرط توافقهما معنًى، ومخالفتهما لفظاً، كالجمع بين اللَّام وكي، واستدلُّوا على ذلك بنحو: جئت لكي تقوم".

فجمعوا هنا بين حرفين ناصبين "كي" و"لام التعليل"، إلَّا أنّ العامل الَّذي نصب "تقوم" لام التَّعليل، و"كي" هنا جاءت مؤكِّدة للام.

ومثله أيضاً البيت السَّابق الَّذي أنشده أبو ثروان؛ إذ جمعوا فيه أيضاً بين حرفين ناصبين لام التَّعليل، وكي؛ على أنَّ لام التَّعليل هي النَّاصبة، و"كي" حرف توكيد لها.

ومنه أيضاً قولهم: رأيتك من غير لا فحشٍ ولا ريبةٍ.

فـ"غير" و"لا" أفادا النَّفي بلفظين مختلفين؛ وعلى هذا تكون "غير" نافية، و"لا" توكيداً لها.

ويرى بعض النُّحاة أيضاً، ومنهم الفرَّاء، أنَّه يجوز الجمع بين ثلاثة أحرف، واحتجُّوا على كلامهم بالبيت الَّذي أنشده الكسائيّ؛ إذ جمعوا بين ثلاثة أحرف ناصبة؛ هي:(لام التعليل، وكي، وأنْ). وقد خرَّج النُّحاة هذا البيت على وجهين:

الأوَّل: أن تكون "كي" مصدرية، و"أنْ" بعدها مؤكِّدة لها.

الثَّاني: أن تكون "كي" حرف جر، فتكون "كي" مؤكِّدة للام[3].

ورُجِّح الوجه الثَّاني لعدة أسباب؛ منها:

---

(1) انظر: الإنصاف466، وشرح المفصَّل230/4.

(2) معاني القرآن له262/1.

(3) انظر: شرح كتاب سيبويه397/3، والإنصاف466، وشرح التَّسهيل224/1 ، والجنى الدَّاني265.

الأوَّل: أنَّ "أنْ" أمُّ الباب، فلو جُعِلَت مؤكِّدة لـ "كي"، لكانت "كي" هي النَّاصبة، فيلزم تقديم الفرع على الأصل.

الثَّاني: ما كان أصلاً في بابه لا يكون مؤكِّداً لغيره.

الثَّالث: أنَّ "أن" لاصقت الفعل، فترجح أن تكون هي العاملة(1).

ومنه أيضاً قول الشَّاعر:(لا ما إنْ رأيت)؛ إذ أجاز الفرَّاء فيه الجمع بين ثلاثة أحرف تحمل معنى النَّفي(2).

وجمع الفرَّاء في نصِّه بين القياس والسَّماع.

وهكذا نرى أنَّ أبا حيَّان اكتفى بعرض كلام الفرَّاء من غير أن يتعقَّبه أو يناقشه؛ ممَّا يُرجِّح أنَّه مسلِّمٌ برأيه، ومؤازرٌ له.

النَّص السَّابع:

قال ابن عقيل في باب المعطوف عطف النَّسق: «**قال الفرَّاء في كتاب الحدود: "يُقال: أتصيدُ بكلبك الأرانب؟ فتقول: نعم، حتَّى الظِباء؛ لأنَّهن من الصَّيد**"»(3).

دراسة وتحليل:

يدور النَّص السَّابق حول مجيء "حتَّى" عاطفة؛ فـ "حتى" في العربيَّة تُكسر على أربعة أقسام: ابتدائية داخلة على الجملة الاسميَّة والفعليَّة، وتأتي جارَّة، وعاطفة، وناصبة للفعل على مذهب الكوفيِّين(4).

والعطف بـ "حتَّى" قليل(5)، وربما يعود ذلك لقلة جريانه على ألسنة العامَّة.

---

(1) انظر: شرح الأشموني1/334.

(2) معاني القرآن له1/262.

(3) المساعد2/452.

(4) انظر: منازل الحروف48-49.

(5) انظر: مغني اللَّبيب173، وانظر: التَّذييل والتَّكميل13/70.

فالكوفيُّون ينكرون مجيئها عاطفة، ويحملون نحو: جاء القوم حتَّى أبوك، ورأيتهم حتَّى أباك، ومررتُ بهم حتَّى أبيك، على أنَّ "حتَّى" فيه ابتدائية، وأنَّ ما بعدها على إضمار عامل[1]، في حين أجاز سيبويه[2](180ه) وأئمة البصرة[3] – ومعهم الفرَّاء من الكوفيِّين– العطف بها [4]. ووافقهم في ذلك مجموعة من النُّحاة؛ كـ ابن جنِّي(ت392ه)، وابن مالك، والمرادي(ت749ه)، وابن هشام، وابن عقيل، والأشموني(919ه) وغيرهم[5].

ونقل ابن عقيل نصَّ الفرَّاء عند كلامه على أحد شروط العطف بـ "حتَّى"، وهو أنَّ يكون المعطوف بعضاً من المعطوف عليه؛ إمَّا حقيقةً؛ نحو: أكلتُ السَّمكة حتَّى رأسَها؛ أو تأويلاً[6]؛ نحو قول الشَّاعر[7]:

ألقى الصَّحيفة كي يخفِّفَ رحلَه والزَّادَ حتَّى نعلَهُ ألقاها

---

(1) انظر: مغني اللَّبيب173.

(2) الكتاب96/1.

(3) كابن السَّراج. انظر: الأصول424/1.

(4) انظر: الجنى الدَّاني546.

(5) انظر: اللُّمع76، وشرح التَّسهيل357/3-358، والتَّذييل والتَّكميل69/13، والجنى الدَّاني546، ومغني اللَّبيب173، والمساعد451/2-452، وشرح الأشموني212/1-213.

(6) المساعد452/2. وانظر: أوضح المسالك365/3، وشرح التَّصريح167/2.

(7) البيت لابن مروان النَّحويّ، وهو في الكتاب97/1، وشرح كتابه403/1 . وبلا نسبة في: الأصول425/1، وشرح المفصَّل470/4.

وقد أنشد سيبويه هذا البيت شاهداً على أنَّ "حتَّى" فيه حرف جرٍّ، وأنَّ مجرورها غاية لما قبله؛ كأنَّه قال: ألقى الصَّحيفة والزَّاد وما فيه من المتاع حتى انتهاء الإلقاء إلى الفعل، ويكون "ألقاها" تكريراً للفعل عن طريق التأكيد. انظر: شرح أبيات مغني اللَّبيب96/3.

فالنَّعل هنا ليس بعضاً من الصَّحيفة، وإنَّما كالجزء تقديراً؛ لأنَّ المراد ألقى ما يثقله من الصَّحيفة والزَّاد والنَّعل، ولا شكَّ أنَّ النَّعل هو بعضٌ ممَّا يثقله.

ونقل ابن عقيل عن سيبويه قوله: «ولو قلتَ: كلمتُ العرب حتَّى العجَم" لم يجز»[1].

فلا يجوز أن تكون "حتَّى" هنا عاطفة؛ لأنَّ العجم ليس بعضاً من العرب؛ بل إنَّهم من جنسين مختلفين.

واعترض ابن عقيل على نصِّ الفرَّاء بكلام الصَّفَّار(ت630هـ)؛ إذ قال: «قال الصَّفَّار: وهذا خطأٌ عند البصريِّين».

فالصَّفَّار عدَّ مثال الفرَّاء السَّابق عند البصريِّين خطأً؛ لأنَّ المعطوف ليس من جنس المعطوف عليه؛ فالظِّباء ليست بعضاً من الأرانب، في حين أجاز الفرَّاء العطف بـ "حتَّى"؛ وإنْ لم يكن ما بعدها من جنس ما قبلها حقيقةً، واستدلَّ على كلامه بالشَّاهد السَّابق.

ولعلَّ الفرَّاء خرَّج المثال السَّابق على تأويل أنَّ الظِّباء والأرانب جزء من الصَّيد. فمثال الفرَّاء هو من باب بيت الشِّعر السَّابق؛ وهذا يدلُّنا على أنَّ الفرَّاء في نصِّه السَّابق اعتمد على السَّماع.

ويبدو أنَّ نصَّ الفرَّاء ما هو إلَّا حُجَّة، ساقه ابن عقيل في كتابه؛ ليثبت صحة كلامه على جواز العطف بـ "حتَّى"؛ وإنْ لم يكن المعطوف بعضاً من المعطوف عليه حقيقةً.

(1) المساعد2/452.

نتائج البحث

1-كتاب "الحدود" هو أحد مصنَّفات الفرَّاء المفقودة.

2-بيَّن البحث أنَّ ابن مالك وشرَّاح التَّسهيل حَفِظوا بعضاً من هذه النُّصوص.

3-كشف البحث أنَّ بعض هذه النُّصوص تذكر آراءاً للفرَّاء تفرَّد بها، وخالف فيها البصريِّين وأصحابه الكوفيِّين؛ وهذا يدلُّ على خصوصيته واستقلاليته.

4-أثبت البحث أنَّ بعض هذه النُّصوص وافق فيها الفرَّاء البصريِّين، وخالف فيها الكوفيِّين.

5-أوضح البحث أنَّ بعض هذه النُّصوص فيها شواهد من كلام العرب وقف عليها أو انتهت إليه.

6-أثبت البحث أنَّ بعض هذه النُّصوص اعتمد فيها الفرَّاء القياس، وليس له شاهد فيها .

7-خَلُصَ البحث إلى أنَّ بعض هذه النُّصوص نقلها ابن مالك وغيره مسلِّمين بها، ومؤيِّدين.

8-كشف البحث أنَّ بعض هذه النُّصوص تعقَّبها ابن مالك، ومن تابعه، ولم يَروا فيها ما يدعو إلى الاستدلال بها، والاعتماد عليها.

9-أوضح البحث أنَّ بعض هذه النُّصوص كان أقرب إلى الغريب الشَّاذ من المألوف المعتاد.

المصادر والمراجع

-الأصول في النَّحو، لابن السَّراج، تحقيق:د.عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرِّسالة-بيروت، 1988م.

-ارتشاف الضرب من لسان العرب، لأبي حيَّان الأندلسي، تحقيق وشرح ودراسة: رجب عثمان محمَّد، ومراجعة: رمضان عبد التَّواب، مكتبة الخانجي-القاهرة، ط1، 1418هـ/1998م.

-إنباه الرواة على أنباه النحاة، لجمال الدِّين القفطي، تحقيق: محمَّد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي-القاهرة، ومؤسسة الكتب الثقافية-بيروت، ط1، 1406هـ/1982م.

-الانتصار لسيبويه على المبرِّد، لابن ولَّاد التَّميميّ، دراسة وتحقيق: د. زهير عبد المحسن سلطان، مؤسسة الرسالة، ط1، 1416هـ/1996م.

-الإنصاف في مسائل الخلاف، لابن الأنباري، تحقيق ودراسة:د. جودة مبروك محمَّد مبروك، وراجعه:د. رمضان عبد التَّواب، مكتبة الخانجي-القاهرة، ط1.

-أوضح المسالك، لابن هشام الأنصاري، دراسة وتحقيق: يوسف محمَّد البقاعي، دار الفكر.

-بغية الوعاة في طبقات اللُّغويِّين والنُّحاة، للسُّيوطي، تحقيق: محمَّد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية-صيدا.

-تاريخ بغداد، لأبي بكر البغدادي، دار الكتب العلمية-بيروت.

-التَّذييل والتَّكميل، لأبي حيَّان الأندلسي، تحقيق:د.حسن هنداوي، دار القلم-دمشق_من(1-5) وباقي الأجزاء:دار كنوز إشبيليا، ط1.

-تمهيد القواعد، لناظر الجيش، دراسة وتحقيق:أد. علي محمَّد فاخر وآخرون، دار السَّلام-مصر، ط1428،1هـ.

-الجنى الدَّاني في حروف المعاني، للمرادي، تحقيق:د. فخر الدين قباوة

ومحمَّد نديم فاضل، دار الكتب العلميَّة–بيروت، ط1، 1413هـ/1992م.

–حاشية الخضري على ابن عقيل، تحقيق: الشيخ محمد البقاعي، دار الفكر.

–خزانة الأدب، للبغدادي، تحقيق وشرح: عبد السَّلام هارون، مكتبة الخانجي–القاهرة، ط4، 1418هـ/1997م.

–دراسة في النحو الكوفي من خلال معاني القرآن للفرَّاء(رسالة ماجستير)، للمختار أحمد ديره، دار قتيبة–بيروت، دمشق، ط 1، 1411هـ/1991م.

–ديوان إبراهيم بن هرمة، تحقيق: محمَّد جبار المعيبد، مطبعة الآداب في النجف الأشرف، 1389هـ/1969م.

–ديوان ذي الرُّمَّة بشرح أبي نصر أحمد بن حاتم الباهلي، حقَّقه وقدَّم له وعلَّق عليه:د. عبد القدوس أبو صالح، مؤسسة الإيمان–بيروت،1402هـ/1982م.

–ديوان عدي بن زيد، حقَّقه وجمعه: محمَّد جبار المعيبد، دار الجمهورية–بغداد،1965م.

–ديوان عمر بن أبي ربيعة، دار القلم–بيروت.

–أبو زكريا الفرَّاء ومذهبه في النحو واللُّغة، د. أحمد مكِّي الأنصاري، المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية–القاهرة،1384هـ/1964م.

–شرح أبيات مغني اللَّبيب، عبد القادر البغدادي، تحقيق: عبد العزيز رباح وأحمد يوسف دقاق، دار المأمون للتُّراث–بيروت، (من ج1–ج4) ط2، و(من ج5–ج8) ط1، 1393–1414هـ.

–شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، ابن عقيل، تحقيق:محمد محيي الدين عبد الحميد، دار التراث–القاهرة، دار مصر–سعيد جودة السحار وشركائه،ط20، 1400هـ/1980م.

–شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، لنور الدِّين الأشموني الشَّافعي، دار الكتب العلمية–بيروت، ط1، 1419هـ/1998م.

-شرح التَّسهيل، لابن مالك الطَّائي، تحقيق:د.عبد الرحمن السَّيد ود. محمد بدوي المختون، دار هجر، ط1، 1410ه/1990م.

-شرح التَّصريح على التَّوضيح، لخالد الأزهري، دار الكتب العلمية-بيروت،ط1، 1421ه/2000م.

-شرح كتاب سيبويه، للسِّيرافي، تحقيق: أحمد حسن مهدلي،وعلي سيد علي، دار الكتب العلمية-بيروت، ط1، 2008م.

-شرح المفصَّل، لابن يعيش، قدَّم له:د. إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية-بيروت،ط1 1422ه/2001م.

-طبقات اللُّغويِّين والنَّحويِّين، للزبيدي، تحقيق: محمَّد أبو الفضل إبراهيم، ط2، دار المعارف.

-الفهرست، لابن النَّديم، تحقيق: إبراهيم رمضان، دار المعرفة-بيروت، ط2، 1417ه/1997م.

-القرط على الكامل، لأبي الوليد الوقشي وابن السَّيد البطليوسي، تحقيق وتقديم: ظهور أحمد أظهر، جامعة بنجاب- بلاهور باكستان،1401ه/1980م.

-الكامل، للمبرِّد، حقَّقه وعلَّق عليه وصنع فهارسه: د. محمَّد أحمد الدَّالي، مؤسسة الرِّسالة-بيروت، ط4، 1425ه/2004م.

-الكتاب، لسيبويه، تحقيق:عبد السَّلام هارون، مكتبة الخانجي- القاهرة، ط3، 1408ه/1988م.

-كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، لحاجي خليفة، مكتبة المثنَّى-بغداد، 1941م.

-لسان العرب، لابن منظور، دار صادر-بيروت، ط3، 1441ه.

-اللُّمع في العربيَّة، لابن جني، تحقيق:د. سميح أبو مغلي، دار مجدلاوي-عمان،1988م.

-مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو، د. مهدي المخزومي، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي وأولاده، ط2، 1377ه/1958م.

-مرآن الجنان وعبرة اليقظان، لعفيف الدين اليافعي، وضع حواشيه: خليل منصور، دار الكتب العلمية-بيروت، ط1،1417هـ/1997م.

-المسائل الحلبيات، لأبي علي الفارسي، تحقيق:د.حسن هنداوي، دار القلم-دمشق، دار المنارة-بيروت، ط1،1407هـ/1987م.

-المساعد، لابن عقيل، تحقيق:د. محمَّد كامل بركات، جامعة أم القرى (دار الفكر-دمشق، دار المدني-جدة)، ط1، 1400-1405هـ.

-معاني القرآن، للزَّجَّاج، تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتاب-بيروت، ط1،1408هـ/1988م.

-معاني القرآن، للفرَّاء، تحقيق: محمَّد علي النَّجار أحمد يوسف نجاتي، عالم الكتاب، ط3، 1403هـ/1983م.

-معاني القرآن، للنَّحَّاس، تحقيق: محمَّد علي الصَّابوني، جامعة أم القرى-مكة المكرمة، ط1، 1409هـ.

-معجم الأدباء، لياقوت الحموي، تحقيق:د. إحسان عبَّاس، دار الغرب الإسلامي-بيروت، ط1، 1993م.

-مغني اللَّبيب، لابن هشام الأنصاري، تحقيق: د. مازن المبارك ومحمَّد علي حمد الله، دار الفكر-بيروت، ط6، 1985م.

-المفصل، للزَّمخشري، تحقيق:د. علي بو ملحم، مكتبة الهلال-بيروت، ط1، 1993م.

-المقاصد النحوية، للعيني، تحقيق: أد.علي محمَّد فاخر وآخرين، دار السَّلام-القاهرة، ط1، 1431هـ/2010م.

-المقصور والممدود، للفرَّاء، تحقيق: ماجد الذهبي، مؤسسة الرِّسالة-بيروت،ط2، 1408هـ/1988م.

-منازل الحروف، للرُّمَّاني، تحقيق:إبراهيم السَّامرائي، دار الفكر-عمان.

-همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، للسُّيوطيّ، تحقيق وشرح: عبد السَّلام هارون ود.عبد العال سالم مَكرَم، مؤسسة الرِّسالة، 1413هـ/1992م.

-وفيات الأعيان، لابن خلكان، تحقيق: د.إحسان عبَّاس، 1968م.

الشّخصيّة وتمثّلاتها في روايات ناديا خوست

طالبة الماجستير: ريم خير الله العلي

قسم: اللّغة العربيّة– كليّة الآداب – جامعة البعث

إشراف: أ.د. جودت إبراهيم

الملخّص

يقدّم هذا البحث عرضاً لمفهوم الشّخصيّة بوصفها عنصراً أساسيّاً في بناء الرّواية وفق المفاهيم البنيويّة.

ثمّ يقدّم تحليلاً للشّخصيّات في روايات (ناديا خوست) مُستَعرِضاً الطّريقة الّتي اتّبعتها الكاتبة لبناء الشّخصيّات، ودورها، ودلالة تسمياتها، وتصنيفها.

وسنكتشف من خلال التّحليل الطّريقة الفنّيّة الّتي اتّبعتها الكاتبة لتوظيف الشّخصيّات الواقعيّة والإيجابيّة بوصفها عنصراً فنّيّاً له دوره البارز في البنية الفنّيّة الرّوائيّة.

كلمات مفتاحية:

روايات، الشّخصيّة، خوست.

The character and Its Role in Nadia's Novels.

Summary :

Firstly ,this study is chiefly concerned with displaying the concept of a character which is considered to be as a fundamental artistic element in constructing a novel according to the standards/criterions of the structure of a novel. Secondly ,it presents the analysis of the characters in Nadia's novels as well as portraying the way which the writer adopts to build up the characters , their roles , the references of their names and their classifications.

Through analysis, we can get the artistic way adopted for engaging the positive and realistic characters playing artistically a prominent role in the structure of narrating.

Key words:

Novels , character, Nadia's

التّعريف بالكاتبة ناديا خوست:

كاتبة وأديبة، وقاصّة وناقدة أدبيّة، ومناضلة تقدّميّة جريئة. ولدت في سوريّة في محافظة دمشق عام (1935م). في أسرة شركسيّة الأصل. لها الكثير من المؤلّفات والكتب والمقالات الأدبيّة تعدّ من كبار الأديبات في سوريّة والوطن العربيّ. بدأت ناديا خوست بنشر إنتاجها الأدبيّ في السّتينات من القرن الماضي. تميّزت قصصها بالتّعبير عن زخم الواقع.

حصلت على درجة الدّكتوراة في الأدب المُقارن من الاتّحاد السّوفيتي بعد حصولها على بكالوريوس الفلسفة من جامعة دمشق، وكانت أطروحتها لرسالة الدّكتوراة في الأدب المُقارن بعنوان (أدب تشيخوف وأثره على الأدب العربيّ).

انتخِبَت عضواً في المكتب التّنفيذي لاتّحاد الكتّاب العرب في دمشق عام (2000م) حتّى (2005م). وعضواً في مجلس اتّحاد العرب لثلاث دورات، وعضواً في اللّجنة السّوريّة لدعم الانتفاضة، وعضواً في المكتب التّنفيذي لخريجي الجامعات الرّوسيّة.

شاركت (خوست) في الدّفاع عن الأحياء القديمة خارج سور دمشق، وخاصّة سوق ساروجا، وحماية بعض الأبنية التّاريخيّة كمنزل الشّهيد يوسف العظمة. منحت وزارة الثّقافة السّوريّة جائزة الدّولة التّقديريّة لعام (2016م) للكاتبة ناديا بهاء الدّين خوست في مجال الآداب.

من مؤلّفاتها:

- أحبّ الشّام، مجموعة قصصيّة، دمشق، 1967م.
- في القلب شيء آخر، مجموعة قصصيّة، دمشق، 1979م.
- كتّاب ومواقف، دراسة أدبيّة، دمشق، 1983م.

– الهجرة من الجنّة، مجموعة قصصيّة، 1984م.

– حبّ في بلاد الشّام، رواية، دمشق، 1995م.

– أعاصير في بلاد الشّام، رواية، دمشق،1998م.

– شهداء وعشّاق في بلاد الشّام، رواية، 2000م.

– وداع ولقاء في بلاد الشّام، رواية، 2002م.

– دماء وأحلام في بلاد الشّام، رواية، 2005م.

مقدّمة:

يقدّم البحث دراسة نظريّة للشّخصيّة مع مقاربة نقديّة تحليليّة للشّخصيّات في روايات (حبّ في بلاد الشّام، شهداء وعشّاق في بلاد الشّام، وداع ولقاء في بلاد الشّام، دماء وأحلام في بلاد الشّام، أعاصير في بلاد الشّام) للكاتبة (ناديا خوست) والّتي تستعرض المسيرة النّضاليّة للكثير من الشّخصيّات المثقلة بالهمّ الوطني.

هدف البحث:

يهدف البحث إلى دراسة الشّخصيّات في روايات الكاتبة (ناديا خوست)، بما فيها من نماذج إنسانيّة تعبّر عن الهمّين العام والخاص على حدٍّ سواء، وتُفْصِح عن أنماط حيواتها الماديّة والمعنويّة، وتمثّل نواحي المجتمع الإنسانيّ وتحوّلاته.

مشكلة البحث:

واجهت هذا البحث العديد من الصّعوبات منها: تشعّب الموضوع، وتعدّد مرجعيّاته ممّا استدعى تعدّد المراجع، وتنوّعها وقلّة الدّراسات حول أعمال الكاتبة، فحسب اطّلاعي ليس هناك غير مقالات متفرّقة.

منهج البحث:

استدعت طبيعة الرّوايات اعتماد أكثر من منهج. منها المنهج البنيويّ بوصفه منهجاً علميّاً وصفيّاً يُهمّ في تحديد البنيات، مع الاستعانة بالمنهج السّيميائي للوصول إلى الدّلالات الكامنة لأسماء الشّخصيّات.

مفهوم الشّخصيّة:

لغةً:

جاء في لسان: "الشّخص سوادُ الإنسان، وغيرُه تراه من بعيد، وكلُّ شيء رأيت جسمانه فقد رأيت شخصه، والشّخص كلُّ جسم لهُ ارتفاعٌ وظهورٌ، وجَمْعُهُ أشخاصٌ، وشخوصٌ، وشخّص يعني ارتفع والشّخوص ضد الهبوط وشخّص بصره أي رفعه فلم يَطرِف، وشخّص الشّيءَ عيّنهُ وميّزهُ ممّا سواهُ"(1).

نجد أنّ لفظ الشّخصيّة مُقتصر على الذّات الإنسانيّة وعلى الظّاهر وهو بذلك يؤكّد الظّهور الحسيّ مقترناً بمسمّى الشّخص.

اصطلاحاً:

نجد أنّ كلمة شخصيّة مشتقّة من الأصل اللاتيني (persona) "وهي تعني القناع الّذي كان يلبسه الممثّل حين يقوم بتمثيل دور أو الظّهور بمظهر معيّن أمام النّاس وبهذا أصبحت الكلمة تدلّ على المظهر الّذي يظهر به الشّخص"(2).

تعدّدت تعريفات الشّخصيّة؛ لأهمّيتها الكبيرة في الدّراسات، والتّطوّرات الّتي تشهدها السّاحة الإبداعيّة الفنّيّة والنّقديّة. تعرف من النّاحية الاصطلاحيّة بأنّها المحرّك الرّئيس الّذي يدفع بتطوّر الأحداث داخل العمل الأدبيّ وبأنّها روح الرّواية وهي "كلّ مشارك في الرّواية سلباً وإيجاباً، أمّا من لا يُشارك في الحدث فلا ينتمي إلى الشّخصيّات بل يعدُّ جزءاً من الوصف"(3) ممّا يؤكّد فعاليّة الشّخصيّة، وأهمّيتها في النصّ الرّوائي، ودورها الفعّال في إبراز الحدث والقضيّة.

(1) ابن منظور، 1994م، أبو الفضل جمال الدّين محمّد بن مُكرم، لسان العرب، دار الكتب العلميّة، بيروت – لبنان، ط5، مادّة (شخص).

(2) رياض، سعد، 2005م، الشّخصيّة أنواعها أمراضها وفنّ التّعامل معها، مؤسّسة اقرأ، القاهرة – مصر، ط1، ص11.

(3) زكريّا، عبد المنعم، 2008م، البنى السّرديّة في الرّواية، النّاشر عن بحوث إنسانيّة واجتماعيّة، ط 1، ص62.

ويعرّفها رولان بارت بقوله: "هي نتاج عمل تأليفي وكان يقصد أنّ هويّتها موزّعة في النّصّ عبر الأوصاف والخصائص الّتي تستند إلى اسم (علم) يتكرّر ظهوره في الحكي"(1).

يجعل رولان بارت الشّخصيّة من خلال قوله عنصراً أساسيّاً ومحوريّاً في البناء الرّوائي، ويتمّ ذلك من خلال ما يمنحه لها النّصّ من أهميّة.

"وترى يُمنى العيد أنّ الشّخصيّة باختلافها الّتي تولّد الأحداث وهذه الأحداث تنتج من خلال العلاقات بين الشّخصيّات فالفعل هو ما يمارسه أشخاص بإقامة علاقات بينهم ينسجونها وتنمو بهم، فتتشابك وتنعقد وفق منطق خاص"(2).

وعلى الرّغم من اختلاف التّعريفات تبقى الشّخصيّة العمود الفقري الّذي يقوم عليه العمل الرّوائي وروحه، فبدونه تتوقّف الحركة والسرد.

تصنيف الشّخصيّة الرّوائيّة:

اختلف النّقّاد في تقسيم الشّخصيّات وتصنيفها إلى فئات مختلفة، ومن هذه التّصنيفات:

– تصنيف فيليب هامون:

آ– فئة الشّخصيّات المرجعيّة:

هي شخصيّات تُحيل إلى عوالم خارجيّة مألوفة وتتضمّن الشّخصيّات التّاريخيّة والأسطوريّة والاجتماعيّة، والمجازيّة. "شخصيّات تاريخيّة (نابليون الثّالث في ليو عند ألكسندر دوما)، شخصيّات أسطوريّة (فينوس، زوس)، شخصيّات مجازيّة (الحبّ، الكراهية)، شخصيّات اجتماعيّة (العامل، الفارس، المحتال). تُحيل هذه الشّخصيّات على

(1) نقلاً عن الحمداني، حميد،2000م، البنية السّرديّة من منظور النقد العربيّ، المركز الثّقافي العربيّ، الدّار البيضاء – المغرب، (دط)، ص51.

(2) العيد، يمنى،1990م، تقنيّات السّرد الرّوائي في ضوء المنهج البنيوي، دار الفارابي، بيروت – لبنان، ط1، ص42.

معنى ثابت حدّدته ثقافة ما (...) إنّ قراءتها مرتبطة بدرجة استيعاب القارئ لهذه الثّقافات (...) وعادةً ما تُشارك هذه الشّخصيّات في التّعيين المباشر للبطل"(1).

ب- فئة الشّخصيّات الإرشاديّة (الواصلة):

وهي حلقة وصل بين الكاتب والمتلقّي، عن طريقها يستطيع الكاتب تمرير رسالته، وهي شخصيّات ناطقة باسمه، جوقة التّراجيديا القديمة، المحدّثون السّقراطيّون، شخصيّات عابرة، رواة ومن شابههم، واطسون بجانب شارلوك هولمز... إلخ، ويكون أحياناً من الصّعب الإمساك بهذه الشّخصيّات(2). وهذه الشّخصيّات تكون علامة لحضور المؤلّف أو القارئ، وما ينوب عنها داخل النّصّ الرّوائي.

ج- فئة الشّخصيّة الاستذكاريّة: وتُسمّى بالشّخصيّات المتكرّرة، تحديد هذه الشّخصيّات يحتاج لإدراك وفهم مرجعيّات العمل الأدبيّ بصفة عامّة وهي "شخصيّات للتّبشير فهي تقوم بنشر أو تأويل الأمارات... إلخ، إنّ الحلم التّحذيري ومشهد الاعتراف والتّمنّي والتّكهّن والذكرى والاسترجاع والاستشهاد بالأسلاف والصّمود المشروع، وتحديد برنامج كلّ هذه العناصر تعدّ أفضل الصّفات وأفضل الصّور الدّالة على هذا النّوع من الشّخصيّات، ومن خلالها يقوم العمل بالإحالة على نفسه"(3).

(1) هامون، فيليب، 2008م، سيمولوجيا الشّخصيّات الرّوائيّة، تر: سعيد بنكراد، دار الحوار للنّشر، اللاذقيّة – سوريّة، ط1، ص35-36.
(2) المصدر نفسه، ص14.
(3) المصدر نفسه، ص14.

أنواع الشّخصيّة الرّوائيّة:

1- الشّخصيّة الرّئيسة:

وهي المركز الّذي تدور حوله الأحداث وهي: "الّتي تقود الفعل وتدفعه إلى الأمام وليس من الضّروري أن تكون الشّخصيّة الرئيس بطل العمل دائماً، ولكنّها هي الشّخصيّة المحوريّة، وقد يكون هناك منافس أو خصم لهذه الشّخصيّة"(1) فهي توجّه الحدث.

وغالباً ما تكون أدوارها مقتبسة من الواقع "وهي الّتي تدور حولها الأحداث أو بها الأحداث (...) فلا تطغى أيّ شخصيّة عليها، وإنّما تهدف جميعاً لإبراز سماتها ومن ثمّة إبراز الفكرة التي يريد الكاتب إظهارها"(2).

2- الشّخصيّة الثّانويّة:

تحمل أدوراً أقلّ فعاليّة، وهي المساعد للشّخصيّة الرّئيس "وهي الّتي تضيء الجوانب الخفيّة للشّخصيّة الرّئيسيّة. وتكون إمّا عوامل كشف عن الشّخصيّة المركزيّة وتعديل لسلوكها، وإمّا تابعة لها، تدور في فلكها وتنطق باسمها فوق أنّها تُلقي الضّوء عليها وتكشف عن أبعادها"(3). أبعاد الشخصية (المادّي الفيزيولوجي، الاجتماعي).

ويتمثّل دور الشّخصيّة في إبراز الشّخصيّة الرّئيس ومساعدتها، وقد أكّد عبد الملك مرتاض استحالة فصل الشّخصيّات الرّئيسيّة عن الثّانويّة في قوله: "لا يُمكن أن تكون الشّخصيّة المركزيّة في العمل الرّوائي إلا بفضل الشّخصيّات الّتي ما كان لها أن تكون هي أيضاً لولا الشّخصيّات عديمة الاعتبار فكما أنّ الفقراء يصنعون مجد الأغنياء، فكأنّ الأمر كذلك هنا"(4).

3- الشّخصيّة الهامشيّة:

(1) زغرب، صبيحة عودة، جماليّات السّرد في الخطاب الرّوائي، ص131.
(2) أبو شريفة، عبد القادر،2008م، مدخل إلى تحليل النّصّ الأدبيّ، دار الفكر العربيّ، ط4، ص135.
(3) زغرب، صبيحة عودة، جماليّات السّرد في الخطاب الرّوائي، ص132.
(4) مرتاض، عبد الملك، في نظريّة الرّواية (بحث في تقنيّات السّرد)، المؤسّسة الوطنيّة للكتاب، الجزائر، (دط)، ص133.

هي شخصيّات غير فعّالة سواء في العمل الفنّيّ أم في المجتمع، تأتي لسدّ فراغ ما داخل النّصّ، وهي قليلة الظّهور سريعة التّلاشي، شبيهة بالسّراب، فلا يكاد يظهر حتّى يتلاشى. "الشّخصيّة الهامشيّة هي كائن ليس فعّالاً في المواقف والأحداث والمرويّات"(1).

أبعاد الشّخصيّة الرّوائيّة:

1- البعد الجسمي (الفيزيولوجي):

وهو البعد الخارجي ويدرس الملامح الخارجيّة للشّخصيّة "وهو مجموعة من الصّفات والسّمات الخارجيّة الجسمانيّة الّتي تتّصف بها الشّخصيّة سواء كانت هذه الأوصاف بطريقة مباشرة من طرف الكاتب (الرّاوي) أم إحدى الشّخصيّات، أم من طرف الشّخصيّة ذاتها عندما تصف نفسها، أو بطريقة غير مباشرة ضمنيّة مُستنبطة من سلوكها أو تصرفاتها"(2). بمعنى أنّ البعد الجسمي قائم على ما تبدو عليه الشّخصيّة من مظاهر خارجيّة.

2- البعد الاجتماعيّ (السوسيولوجي):

يبرز البعد الاجتماعيّ في كلّ ما يُحيط بالشّخصيّة ويؤثر في أفعالها أو سلوكيّاتها ومن خلاله نتمكّن من معرفة كلّ ما يتعلّق بهذه الشّخصيّة من مستوى تعليمي، المرجعيّات الدّينيّة والفكريّة، الماديّة، الطبقة الاجتماعيّة... ويشتمل أيضاً على "الظّروف الاجتماعيّة وعلاقة الشّخصيّة بالآخرين، بإمكاننا أن نعرف من خلاله كلّ ما يتعلّق بحياة الشّخصيّة كالمستوى التّعليمي، وأحوالها الماديّة وعلاقتها بكلّ ما حولها"(3).

3- البعد النّفسي (السيكولوجي):

(1) مرتاض، عبد الملك، في نظريّة الرّواية (بحث في تقنيّات السّرد)، المؤسّسة الوطنيّة للكتاب، الجزائر، (دط)، ص135.
(2) المصدر نفسه، ص15.
(3) هلال، محمّد غنيمي، 19882م، النّقد الأدبيّ الحديث، دار العودة، لبنان، ط1، ص641.

يهتمّ علم النّفس بدراسة الشّخصيّة ويُعدُّها "من أصعب معاني علم النّفس تعقيداً أو تركيباً، لأنّها تشمل الصّفات الجسمانيّة والوجدانيّة والخلقيّة في حالة تفاعلهما مع بعضهما البعض لشخصٍ معيّنٍ، يعيش في بيئة اجتماعيّة معيّنة"(1). ويُكمل البعد النّفسي كلاً من البعدين الاجتماعي والجسمي.

يمكن القول: إنّ الأبعاد متكاملة فيما بينها، ونقص عنصر ينتج عنه خلل في بناء الشّخصيّة لذلك هي أساس بناء الشّخصيّة.

تحليل:

- الشّخصيّات ذات المرجعيّة في الرّوايات:

تدلّ الشّخصيّة المرجعيّة على معنى مستقرّ وثابت في ثقافة ما. وأهمّيتها مرتبطة بفاعليّة القراءة ومشاركة القارئ في تلك الثّقافة.

1- شخصيّات ذات مرجعيّة دينيّة:

- النّبيّ الكريم ﷺ:

وظّفت الكاتبة الحديث الشريف في رواية (حبّ بلاد الشّام): "أمّا الآن فهو لا يستطيع أن يوقف سير الزّمن، ولكنّه سيظلّ يكشفه! وهذا الحزن شخصي لا علاقة له بقراره "لو وضعوا الشّمس في يميني والقمر في يساري..."(2) لأنّ شكري العسلي بثباته على موقفه في محاربة اليهود والدّونمة، وكشف مخططاتهم، شابه ثبات النّبيّ ﷺ في محاربة الفكر، ونشر الدّعوة.

- السّيّد المسيح عليه السلام:

(1) الميلادي، عبد المنعم، 2006م، الشّخصيّة وسماته، مؤسّسة شباب الجامعة، مصر، ص20.
(2) خوست، ناديا، 1995م، حبّ في بلاد الشّام، منشورات اتّحاد الكتّاب العرب، دمشق، ص378.

استدعت الكاتبة شخصيّة (السّيّد المسيح ﷺ) وهي تسرد معاناة (نجيب نصّار)(1) وأمثاله من السّياسيين أثناء جهادهم الفكري منبّهة إلى المنطلق الفكري والدّيني الّذي يدفعه إلى تحمّل تلك الآلام "مسكين هذا المسيح! وإلى متى يجب أن يوجد مسيح يحمل الصّليب ويفتدي الغافلين"(2).

صُلب السّيّد المسيح وعُذّب لردّه عن دعوته؛ ولكنّه ثبت بالرّغم من العذاب والألم الّذي عاناه، و نجيب نصّار حاولوا أن يوسّخوا سمعته. وعندما عجزوا عن عزله عن النّاس أغلقوا جريدته، على الرّغم من ذلك ثبت على مواقفه النّضاليّة ولم يتخلّ عن قضيّته.

- الحسن والحُسين (رضي الله عنهما):

استحضرت الكاتبة قصّة الحسن والحُسين على لسان الرّاوي في رواية (دماء وأحلام في بلاد الشّام) في أثناء تكليف (فوزي لمديحة)(3) بانتقاء الطّلاب المناسبين لتمثيل البلاد في مهرجان موسكو.

يقول الرّاوي: "لم تفكّر مديحة في السّلطة الّتي تكسر حامليها وضحاياهم أو تُنقِذهم. فأسطورة الحسن والحُسين تُبهِرُها، ورجاء حسن مثَلٌ قريب. كجميلة بوحيرد..."(4).

"كان الحسن والحُسين رضي الله عنها ضحيّة السّلطة ومسؤوليّة الدّفاع عن الحقّ.

حقن الحسن دماء المسلمين بالاتّفاق والصّلح المشروط، ومات الحُسين وهو يحارب من نكثَ العهود والمواثيق ولم تكن حربه خروجاً على طاعة الحاكم"(1). أرادت الكاتبة أن

(1) نجيب نصّار: شخصيّة ثانويّة في رواية (حب في بلاد الشّام). هو أنموذج للنضال الفكري، والكلمة الحرة الصّادقة. أسكته اليهود بإغلاق جريدته، وتلويث سمعته باتّهامه بالعمالة.

(2) خوست، ناديا، حبّ في بلاد الشّام، ص599.

(3) شخصيتين ثانويتين في رواية (دماء واحلام في بلاد الشّام) برزا كأنموذجين للشخصيّات الشّابة الّتي انعكست اضطرابات البلاد السياسيّة والاجتماعية على حياتها ومستقبلها. جمعهما الحبّ، وفرقتهما الوحدة بين سوريا ومصر، فاعتُقل فوزي، وهربت مديحة من الاعتقال إلى لبنان ومنها إلى ألمانيا. يخرج فوزي من المعتقل بعد ثلاث سنوات، وتعود مديحة من روسيا وقد أنهت دراستها. ترفض الارتباط به لأنّه لم يستطع التحرّر من الولاء للعشيرة.

(4) خوست، ناديا، 2005م، دماء وأحلام في بلاد الشّام، منشورات اتّحاد الكتّاب العرب، دمشق، ص256.

تؤكّد أنّ المسؤوليّة المُلقاة على عاتق كلّ فرد مهما كانت بسيطة فهي قوّة تقرّر خطراً. وأنّ من لا يُحاسبه ضميره في أداء واجباته سيكون خطراً وعائقاً لتقدّم المجتمع. ليست مهمّة انتقاء الطّلاب بالمهمّة الصّعبة، ولكنّها سلطة ومسؤوليّة؛ لأنّ هؤلاء الطّلاب سيُمثّلون البلاد أمام البلدان الأخرى، لذا يتوجّب انتقاؤهم بدقّة وضمير. يظهر بوضوح حرص الكاتبة على توظيف الشّخصيّات الدّينيّة وإنْ دلّ هذا على شيء فهو يدلّ على سعة اطّلاع الكاتبة على التّراث الدّيني، وحِرصها أنْ تستمدّ الأجيال قوّتها وثباتها وعزيمتها لمحاربة الخطر الصّهيوني من الرّموز الدّينيّة، لأنّهم القدوة، وقادة الأمم إلى الحضارة والرقيّ وإحقاق الحقّ. ومنهم نأخذ العِبرة والعظة بانتصار الحقّ وأهله على الظّلم مهما تمادى في طغيانه.

2- شخصيّات ذات مرجعيّة تاريخيّة:

وظّفت الكاتبة شخصيّات ذات مرجعيّة تاريخيّة في رواياتها، وسنذكر نماذج من هذه الشّخصيّات:

- شخصيّة طارق بن زياد:

استحضرت الكاتبة شخصيّة (طارق بن زياد) خلال حديثها عن إدراك (شكري العسلي) لجوهر الصّراع، وأنّ العرب من دون سند عالميّ. بينما عدوّهم ذو نفوذ في بلاد الغرب والّتي يتوهّم العرب أنّهم سندٌ لهم في بلاد الشّام: "من هناك يأتي الصّهيونيّون بالمشاريع، ومن هناك يرصدون الرّجل المريض ليقتسموه! من هناك يجب ألا يتوقّع العرب مُساعدة! ذلك هو الحصار! ونحن مثل طارق بن زياد، لكنّنا غيره... وفي غير زمان"(2). شبّهت الكاتبة حصار الصّهاينة والغرب لبلاد الشّام بحصار العدوّ لطارق بن زياد. أحرقَ طارق

(1) ابن كثير القرشيّ الدمشقي، إسماعيل بن عمر، 2009م، البداية والنّهاية، بيت الأفكار الدّوليّة، ص221.
(2) خوست، ناديا، حبّ في بلاد الشّام، ص372.

بن زياد السّفن ليُحرِقَ كلّ أملٍ لجنوده بالفرار، فلا مهرب لهم ولا نجاة سوى بالقتال والدّفاع عن النّفس. يغرق العرب بأوهامهم أنّهم الأقوى، وأنّ الغرب سندٌ لهم؛ لطيبة قلوبهم وتخاذلهم. واستدركت الكاتبة بـ(لكن) لتقول: إنّ العرب بحاجة لمن يحرق أوهامهم؛ ليستيقظوا من غفلتهم ويعتمدوا المواجهة سبيلاً للحفاظ على الأرض والكرامة العربيّة من التّآمر الصهيوني والغربيّ. ولكننا بحاجةٍ إلى قائدٍ حكيم وشجاع كطارق بن زياد، وبحاجة إلى زمنٍ كزمانه يُعيد للتّاريخ العربيّ أمجاده.

- شخصيّة تيمور لنك(1):

استدعت الكاتبة شخصيّة (تيمور لنك) في أثناء حديث (يوسف) مع نفسه (مونولوج) مسترجعاً في ذاكرته تعاقُب الغزاة عليها، وصمودها وفناء الغزاة. يقول الرّاوي في رواية (حبّ في بلاد الشّام): "دمشق تردّ له الرّوح! وقال: هي النّبيذ المعتّق! قِدَمُها يُرطِّبُ قلبه ويُهوِّن الهمّ. يتذكّر كأهل بلده أنّ تيمورلنك دخلها باكراً وأحرقها وقتل أهلها، ثمّ عاشت مرّة أخرى، ومات تيمور لنك..."(2).

وظّفت الكاتبة شخصيّة تيمورلنك لتؤكّد أنّ دمشق كُلّما زادت قدماً زاد زائرها نشوةً. وكلّما تعاقب عليها الغزاة، ازدادت صموداً وصبراً وتألّقاً، ستُفني أعداءها المتآمرين عليها، وتُبعث وتحيا من تحت الرّماد.

3- شخصيّات ذات مرجعيّة أسطوريّة:

(1) تيمور لنك قائد مغولي من القرن الرّابع عشر. ومؤسّس الإمبراطوريّة التّيموريّة (1370 – 1405) م في وسط آسيا، وأوّل الحكّام في العائلة التّيموريّة الحاكمة الّتي استمرّت حتّى عام (1506م). حاول استرجاع الإمبراطوريّة المغوليّة، فكانت أعنف هجماته ضد المغول.

(2) خوست، ناديا، حبّ في بلاد الشّام، ص432، يُنظر: عبد الكريم سليمان، أحمد، 1405هـ- 1985م، تيمور لنك ودولة المماليك الجراكسة، دار النّهضة العربيّة للطّبع والنّشر والتّوزيع، ط1.

– شهرزاد(1):

استحضرت الكاتبة شخصيّة (شهرزاد) في رواية (شهداء وعشّاق) عندما طلب (حمدان)(2) من (سعاد) ابنة فاطمة أن تتقمّص شخصيّة شهرزاد وتسرد له الحكايات. يقول الرّاوي: "... يجب أن تصدّقي الآن أنّك شهرزاد! وأنا مَنْ؟ عبد، أم أمير! فلأكن شهريار! اضطجع وطلب من سعاد أن تحكي له حكاية... تبيّنت وهي تحكي شابّة أخرى في نفسها. قال لها منتصراً: أرأيت؟ في كلّ امرأة شهرزاد ولكنّها لا تدري بذلك! ركع أمامها لأنّها شهرزاد. مع أنّه شهريار"(3).

أرادت الكاتبة أن تقول باستحضارها لشخصيّة (شهرزاد) أنّ بداخل كلّ امرأة شهرزاد، تستطيع بذكائها وثقتها بنفسها أن تُذلّل الصعاب، وتُؤدِّب الرّجل، وتهذّب طباعه. وأنّ داخل كلّ امرأة شهرزاد قادرة على خدمة وطنها، ومواجهة الغزاة بجرأتها وشجاعتها وثقافتها وحكمتها.

برزت شهرزاد الكامنة في سعاد بزواجها من المحامي (عبد الرّحيم)، فكانت لها بصحبته بصمتها النّضاليّة وثورتها على الظّلم والعدوان. دافعت شهرزاد ألف ليلة وليلة عن نساء المملكة، بينما دافعت سعاد عن الوطن، وواجهت الغزاة بشجاعة تخطّت شجاعة وحكمة الرّجال.

(1) شهرزاد: شخصيّة رئيسيّة أنثويّة، وراوية في إطار سرديّة لمجموعة الحكايا العربيّة المعروفة بـ (ألف ليلة وليلة) وهي مجموعة من القصص والأساطير المستمدّة من الثّقافات المتعدّدة، جُمعت بالعربيّة على مرّ القرون، شهرزاد هي ابنة الوزير وزوجة الملك شهريار. وهي فارسيّة. يُنظر: جوهر، حسن، محمد أحمد برّاق، أمين أحمد السّطّار، ألف ليلة وليلة، دار المعارف، ط2، ص35.

(2) شاب فلسطينيّ. غني وحيد ومدلّل، تزوّج فاطمة بنة سعاد، وهامّ بها. عاشا معاً سنتين، وينتهي زواجهما بالانفصال؛ لأنهّا لم تتحمّل حبّه المتأرجح بين الصّحو والجنون. تكتشف سعاد بعد سنوات من طلاقهما أنّ سبب اضطرابه وجنونه قلقه على البلاد الّتي تُباع وتُسلب من أهلها بالمكر والخداع، وعجزه عن حماية الوطن.

(3) خوست، ناديا،2000م، شهداء وعشاق في بلاد الشّام، منشورات اتّحاد الكتّاب العرب، دمشق، ص173.

– السّندباد(1)**:**

استحضرت الكاتبة شخصيّة السّندباد وعروس البحر في رواية (حبّ في بلاد الشّام) في أثناء سفر (سعيد)(2) على متن الباخرة برفقة أحمد باشا، ورؤيته للبحر أكثر أماناً وسعةً من البرّ.

يقول الرّاوي: "أيمكن أن يكون البحر السّاكن حول سعيد مملكة مستقلّة؟ أيكون البرّ لصراع النّاس، والبحر منطقة آمنة، للسّفر، للأحلام، وانتظار عروس البحر، للفرجة على الحيتان والأسماك، للبحث عن الجزر الضّائعة واللّقاء بالجزر الوحيد للؤلؤ، والمرجان ليعود السّندباد حُرّاً إلى جبل النّحاس ويعبره"(3).

اعتاد سعيد السّفر ليكنز العلم والمعرفة، واكتشاف المدن، شعر بصعوبة السّفر والتّنقّل بعد تقطيع أوصال بلاد الشّام، وانعكس الضّياع والتّشتت الّذي عانته البلاد على شخصيّته. ليصبح البحر له منطقة آمنة للسّفر والحلم بعودة بلاد الشّام موحّدة، جميلة كعروس البحر وليعود العربيّ حُرّاً في السّفر والتّنقّل كالسّندباد.

ترمز الشّخصيّة الأسطوريّة إلى ضياع الشعب. يقف الإنسان حائراً أمام بعض الصّعوبات الّتي تعترض مجرى حياته، ويصل إلى درجة أنّه يتمنّى حدوث الخوارق والمعجزات. الشّعب بمختلف فئاته يعبّر بالالتجاء إلى شخصيّات أسطوريّة عن ضياعه وتشتّته، وأحلامه.

(1) السندباد: شخصيّة أسطوريّة من شخصيّات ألف ليلة وليلة، وهو بحّار من بغداد عاش في فترة الخلافة العبّاسيّة، ويُقال: إنّ السّندباد الحقيقي تاجر بغدادي مقيم في عمان، وتعدّ حكاية السّندباد البحري من أشهر حكايات ألف ليلة وليلة، يُنظر: جوهر، حسن، محمّد أحمد برّاق، أحمد السّطّار، ألف ليلة وليلة، دار المعارف، ط2، ص210.

(2) شخصيّة شابّة مَرِحة مُثَقّفة. مثّقف يهوى الشّعر والغناء والسّفر واكتشاف المدن. أهمل دراسته ليدافع عن الوطن، فكان مُثْقَلاً بالهمّ الوطني، وبحلم الدّولة العربيّة، ووحدة بلاد الشام. رافقنا في روايتي (حب في بلاد الشّام، وشهداء وعشّاق) تنتهي حياته باستشهاده وعرض جثّته في ساحة المرجة.

(3) خوست، ناديا، حبّ في بلاد الشّام، ص359.

4- شخصيّات ذات مرجعيّة ثقافيّة:

يُمثّل هذه الفئة فلاسفة وأدباء وشعراء ورد ذكرهم في الرّوايات على لسان الشّخصيّات الّتي تقرأ لهم وتتبنّى أفكارهم ورؤاهم وأيديولوجياتهم على اختلافها. العبرة في استدعاء هذه الشخصيّات ليست بذواتها بل بالأفكار الّتي تمثّلها ومدى التأثير الّذي تحدثه في متلقّيها.

استحضرت الكاتبة قصيدة (بهيرة) للشّاعر (عبد المعين الملّوحي(1)) في رواية (دماء وأحلام).

انتشرت هذه القصيدة بين طلاب الجامعة لأنّها تحثُّ على الجرأة والتّمرّد، وتبثّ روح التّفاؤل وحبّ الحياة، وأنّه لا يوجد في هذه الحياة باب مغلق عصيّ على الإرادة القويّة: "هكذا انتشرت (بهيرة) عبد المعين الملّوحي، في مدارس بلاد الشّام! وصلت من دمشق إلى بيروت وعمان وإربد وحفظها قيس، نسخها الطّلاب بأيديهم! نسخت ليلى مقطع القصيدة مبهورة. بجرأة الشّاعر:

فَرِغَ الإله وجنده من قتل زوجتي الصّغيرة.

وتجمّعوا يتضاحكون وقد توارت في حفيرة"(2).

كانت الغاية من هذا التّوظيف بيان مدى تأثير الشّعر في روح الشّباب وبثّ الأمل والتّحدي فيهم.

استحضرت الكاتبة أبياتاً من قصيدة البياتي(3)، كقول الرّاوي في رواية (دماء وأحلام):

" عيني في عينيك يا وطن العقيدة والكفاح

(1) عبد المعين الملّوحي: شاعر عربيّ سوريّ من مواليد محافظة حمص. كتب في الصّحافة وذيّل توقيعه باسم شيوعي مزمن حتّى عُرِف بهذا الاسم. له العديد من المؤلّفات ولعلّ أبرزها قصيدة (قدر وجريمة) والّتي طبعت ثمّ سُحِبت من التّداول، علماً أنّ القصيدة كانت قصيدة رثاء زوجته بهيرة الّتي توفّيت بالسّرطان. وصف أحدهم القصيدة بأنّها رثائيّة بامتياز. وفلسفيّة بامتياز. فهو أوّل من تجرّأ على الإلحاد، وليس الإلحاد فحسب بل الهجوم ليفتح باباً في وجه الأدب العربيّ قلائل من تجرّأوا ودخلوا فيه.

(2) خوست، ناديا، دماء وأحلام في بلاد الشّام، ص82-83، مقتبس من ديوان الشّاعر عبد المعين الملّوحي، يُنظر: مهنا، ناظم، عبد المعين الملّوحي، أعلام ومبدعون، وزارة الثّقافة، الهيئة السّوريّة للكتاب، دمشق، ص25.

(3) عبد الوهاب البياتي: شاعر وأديب عراقي (1926 – 1999) م. يُعدُّ واحداً من أربعة أسهموا في تأسيس مدرسة الشّعر العربيّ الجديد في العراق (روّاد الشّعر الحرّ).

والنّار في قلبي وفي يدي السّلاح

أحمي حدودك من صغار النّحل

يا وطن الأقاح"(1).

أنشدت مديحة هذه الأبيات كأنّها من انتصاراتها.

أوردت الكاتبة أسماء كتّاب عرب وغربيين كان لهم بصمة في السّاحة الأدبيّة. قرأت مديحة لمجموعة من الكتّاب الغرب لتُثقّف نفسها. يقول الرّاوي في رواية (دماء وأحلام): "وهي أيضاً يجب أن تُثقّف نفسها: على طرف طاولتها كتب: الحرس الفتي لفاديف، شارع السّردين المعلّب لشتاينبك، فارس الأمل لجورج أمادو، والشيخ والبحر لهيمنغواي... في الثّقافة المصريّة لمحمود أمين العالم وعبد العظيم أنيس، كم يجب أن تقرأ لتعرف الدّنيا، وكم هذه الكتب ممتعة"(2).

استحضرت الكاتبة في مجال الطّرب: "الحبّ كأغاني أسمهان وعبد الوهاب ولورد كاش! نور القلب وضوء العين"(3).

تحضر الشّخصيّات الثّقافيّة والأدبيّة في روايات ناديا خوست بكثافة، ولا مجال لحصرها جميعاً.

ونلاحظ تركيز الكاتبة على أفكار الشّخصيّات ورؤاها أكثر من الشّخصيّات ذاتها، وردت بعض الشّخصيّات بذكر مؤلّفاتها أو ذكر اسمها فقط.

أرادت الكاتبة من خلال إيرادها لهذه الشّخصيّات الثّقافيّة والأدبيّة المقارنة بين الأدب والشّعر في الماضي والحاضر، والإشارة إلى مدى انحطاط الثّقافة المعاصرة وسطحيّتها،

(1) خوست، ناديا، دماء وأحلام في بلاد الشّام، ص238، يُنظر: ديوان عبد الوهاب البياتي، الأعمال الشّعريّة، دار الفارس للنشر والتوزيع، عمان، ج1، 1995م.

(2) خوست، ناديا، دماء وأحلام في بلاد الشّام، ص238.

(3) خوست، ناديا، 1998م، أعاصير في بلاد الشّام، منشورات اتّحاد الكتّاب العرب، دمشق، ص24.

وعرفنا مدى ثقافة الكاتبة، واطلاعها على الآداب العربيّة والغربيّة ولا سيّما الأدب الرّوسي.

مفهوم الرّمز:

نرى الأفكار تظهر مع الرّموز، بحيث لا يُمكن فكّ ارتباطها عن تلك الرّموز، كما أنّ الرّمز قائم بطبيعته على التّكثيف والإيماء والابتعاد عن المباشرة واختزال اللّفظ، بحيث يجعل القارئ يتدخّل في كشف دلالاته، "فالأدب الرّمزي يفرض على القارئ قراءةً واعيةً، ويدعو إلى كشفِ المعاني الخفيّة"(1).

وقد اختلفت وجهات النّظر حول مفهوم الرّمز، فمنهم من يرى الرّمز "وجهاً مقعنّعاً من وجوه التّعبير بالصّورة"(2).

وقد عبّر رينيه (ويلك) و(أوستن وارين) عنه "كموضوعٍ يُشير إلى موضوعٍ آخر، لكن فيه ما يؤهّله لأنّه يتطلّب الانتباه أيضاً لذاته كشيءٍ معروض"(3).

وعدّه آخر بأنّه: "الدّلالة على ما وراء المعنى الظّاهري، مع اعتبار أنّ المعنى الظّاهري مقصود أيضاً"(4).

بينما جعله الدّكتور (محمّد غنيمي هلال): "الإيحاء أي التّعبير غير المباشر عن النّواحي النّفسيّة المستترة، الّتي لا تقوى على أدائها اللّغة في دلالتها الوضعيّة"(5).

"يطلق الرّمز للنّفس العنان حتّى تنطوي على ذاتها لسبر غورها البعيد فيُحرّرها بعض الشيء من العامل المنطقي المتجمّد إلى قوّة أخرى لا تُدرك قراءة اللاوعي إلا بها ألا وهي الحدس"(1).

(1) بير، هنري، 1981م، الأدب الرّمزي، ترجمة: هنري زغيب، منشورات عويدات، بيروت، ص10.
(2) إسماعيل، عزّ الدّين، الشّعر العربيّ المعاصر، دار الثّقافة، بيروت، (د.ت)، ص195.
(3) ويلك، رينيه، وأوستن وارين، 1972م، نظريّة الأدب، تر: محي الدّين صبحي، مراجعة: حسام الخطيب، دمشق، ص243.
(4) عبّاس، إحسان، 1996م، فنّ الشّعر، دار صادر بيروت، ص200.
(5) هلال، محمّد غنيمي، 1987م، الأدب المقارن، دار العودة، بيروت، ص398.

"لأنّ وظيفة الرّمز الأساسيّة أن يحتفظ بانتباهنا منصبّاً عليه في الوقت الّذي يشغل به حساسيّتنا بتغطية الفكرة وحجبها لمنعها من بلوغ منطقة الوعي الواضح"(2).

"ومن هذه الرّموز الرّمز الشّخصي الّذي يقتلعه الأديب من حائطه الأول ليفرغه جزئيّاً أو كليّاً من شحنته الأولى أو ميراثه الأصلي عن الدّلالة ثمّ يشحنه بشحنة أو مدلول ذاتي مستمدّ من التّجربة الخاصة"(3).

ومن أمثلة الشّخصيّات الرّمزيّة:

- شخصيّة الحيّة:

ترمز الحيّة في رواية (حبّ في بلاد الشّام) لغدر اليهود. وقول شفيقة أنّها لا تؤذي من لا يؤذيها تأكيد لطيبة قلب العرب واستغلال اليهود لهذه الطّيبة. يقول الرّاوي: "لا تخاف فاطمة من الضّبع، رُغم ما يقال أنّه يضبع فريسته ويجرّها وراءه إلى حيث يأكلها. لكنّها تخاف من الحيّة. لماذا؟ لأنّها ملساء، تتسلّل في صمت مُستعدّة للغدر"(4).

عانت فاطمة وعائلتها من غدر اليهود. مات زوجها يوسف حسرةً وكمداً لأنّ أبيلا اليهودي سلبه أرضه بالمكر والخداع. غدر به بعد أن دخل بيته واستضافه يوسف بكرم وشهامة العربيّ المعهودة. بسبب هذه الطّيبة والكرم خسرت عائلته كلّ ما تملك بعد وفاته حتّى البيت. لذلك تذكّرت فاطمة غدر اليهود عند ذكر أولاد أخيها للحيّة. فهم يدخلون فلسطين بحجّة المشاريع والمساعدة، ويغتصبون الأراضي بالمكر والخداع. يدخلون بنوايا حسنة عكس ما يضمرون. كجلد الحيّة الأملس ولكنّه يحتوي السّمّ.

(1) يُنظر: كرم غطّاس، أنطوان، 1949م، الرّمزيّة والأدب العربيّ الحديث، دار الكشّاف للنّشر والطّباعة، بيروت، ص12.

(2) يُنظر: هويدي، صالح، 1989م، التّرميز في الفنّ القصصي العراقي الحديث، دار الشّؤون الثّقافيّة العامّة، ط1، بغداد، ص19.

(3) يُنظر: أرسلان، إسماعيل، الرّمزيّة في الأدب في الفنّ، مكتبة القاهرة الحديثة، القاهرة، (د.ت)، ص57.

(4) خوست ناديا، حبّ في بلاد الشّام، ص723.

– شخصيّة الغزال:

فرح قيس بالغزال الصغير الّذي أهداه له عمّه. سُرِق الغزال وحزِن قيس كثيراً. شاركته صديقته (غزالة) حزنه بقولها في رواية (أعاصير في بلاد الشّام): "وهناك عانقته لا تحزن يا قيس! كنت أعرف أنّهم لن يتركوه! عرفت؟ كيف؟ ردّت: لأنّه حلو! هل كانت تُدرك أنّ الجميل، وأنّ مصير النّقي مرّ؟ كيف خمّنت ما لا يستطيع ولا تستطيع بعد التّعبير عنه؟"(1).

رمزت الكاتبة بالغزال إلى فلسطين. لا يخفى على أحد خصوبة تربتها وجمالها بزيتونها وعُذوبة مائها، وآثارها. عدا عن طيبة أهلها وشهامتهم ونقاء سريرتهم. استغلّ اليهود طيبة قلبهم وسرقوا الأرض والبيوت والزّيتون وحتّى الماء. حال فلسطين كحال الغزال جمالها وطيبة أهلها جلبا لها المصير المرّ.

– شخصيّة الضّبع والأرنب:

يرمز الضّبع في رواية (وداع ولقاء) إلى اليهود. وصفه السّارد بالجبن والغدر، وأنّه لجبنه يعجز عن مواجهة ضحيّته لذلك يُخدّرها ليتمكّن من افتراسها "همست: الضّبع جبان، وغدّار! يُقال إنّه يخدّر ضحيّته كي لا يواجهها!"(2) وصفه السّارد بأنّه بشع ويخاف الضّوء. فهو يفترس ضحاياه ليلاً. كقول معتصم لأخته ليلى يصف لها الضّبع: "فرسم على الأرض بقضيب من الخشب حيواناً ظهره مائل. قالت: بشع! طبعاً، بشع، يا ليلى! ويخاف من الضّوء!"(3).

(1) خوست، ناديا، أعاصير في بلاد الشّام، ص30.
(2) خوست، ناديا،2002م، وداع ولقاء في بلاد الشّام، منشورات اتّحاد الكتّاب العرب، دمشق، ص521.
(3) خوست، ناديا،2002م، وداع ولقاء في بلاد الشّام، منشورات اتّحاد الكتّاب العرب، دمشق، ص521.

لا يخفى على أحد أنّ اليهود احتلّوا فلسطين بالمكر والغدر، وأنّهم عجزوا عن مواجهة أهلها والعرب وجهاً لوجه لذلك خدّروا العرب بادعاءاتهم أنّهم جاؤوا فلسطين لغاية الإصلاح وإنشاء المشاريع والنّهضة العلميّة والعمرانيّة. فكانت هذه الادعاءات وسيلتهم لسلب الأراضي من أهلها بالمكر والخداع. ويرمز الأرنب إلى فلسطين الّتي عجزت عن مقاومة اليهود، وليلى هي رمز للعرب فكلّما ثارَ الفلسطينيّون للدّفاع عن وطنهم دعَاهم العرب للاستكانة والهدوء أملاً بالمُعاهدات والهدنات الخادعة والّتي كانت تخدم مصالح اليهود والغرب.

"استيقظت ليلى عندما تحرّك الأرنب تحت الغطاء. ألزمته بأن يسكن عندما تبيّنت أمّها في الغرفة"(1).

- **شخصيّة (القرش، الشّاب، أمّ الشّاب، الصّيّادين والنّساء):**

يُعدُّ القرش رمزاً لليهود. وأعطته الكاتبة سمات الغدر والوحشيّة كاليهود. يظهر ويختفي عندما تشعر ضحيّته بالأمان وأنّ الخطر زال يظهر فجأة ليفترس ويغدر. وكلّما قاومته الضحيّة زادته رائحة دمّها وحشيّة. يقول الرّواية في رواية (حبّ في بلاد الشّام): "دخل سمك القرش إلى بيوت حيفا، أسنانه كالمنشار متوحّش يزيده دمّ الضّحيّة وحشيّة! قوّته القاهرة تغلب الصّيّادين! أخطر من الأخطبوط! يفترس ضحيّته قبل أن تعي ما يحدث!"(2).

هذا ما حدث مع يوسف الّذي استقبل أبيلا اليهودي في بيته وقبل أن يعي ما يحدث وما يُحاك ضدّه من مؤامرات سُلِبَتْ أرضه وأملاكه.

الشّاب الّذي افترسه القرش رمز للمدن الفلسطينيّة الّتي يحتلّها اليهود بالغدر الواحدة تلو الأخرى مُستغلّاً عدم تضامنها. الصّيّادون والنّساء رمزان للبلدان العربيّة المستكينة والغافلة

(1) نفسه وعينها.
(2) خوست، ناديا، حبّ في بلاد الشّام، ص480.

عن خطر اليهود، وتفكّكها وعدم توحّدها لمواجهة الخطر الّذي يتهدّد بلاد الشّام عامّةً وليس فلسطين وحدها. ونتبيّن ذلك من خلال نصيحة النّدّابة (زينب) للصّيّادين بقولها في رواية (حبّ في بلاد الشّام): "قالت لهم زينب كي تواجهوه يجب أن تقتَربوا منه يجب أن تتخلّصوا من خوفكم منه! أنتم جماعة وهو وحيد! قال الصّيّادون لزينب: صرت تنطقين بالحكمة!"(1).

رمزت الكاتبة من خلال بعض الصّيّادين إلى العملاء والمنافقين الّذين استغلّوا الأحداث لمصالحهم الشّخصيّة، كقول الرّاوي: "في ذلك الأسبوع ظهر في المصائد سمك غريب الأشكال والألوان بعضه أسود مرقّش. وبعضه أحمر ذو أجنحة كأجنحة الطّيور. عرضه الصّيّادون على الشّاطئ والفرجة بمتليك! فقالت أمّ الشّاب: مصيبتي أنتهم بالخير، يا زينب!"(2).

تُشير الكاتبة هنا إلى فورة بعض المدن العلميّة، ورغبتها بالنّهضة والمشاريع الّتي شغلهم بها اليهود عن خطرهم ومخطّطاتهم لاحتلال فلسطين. انتصر الصّيّادون على سمكة القرش وتمكّنوا من قتلها عندما تخلّصوا من خوفهم، ووحّدوا قواهم كما نصحتهم زينب القرعاء. كحال بلاد الشّام الّتي يتوجّب عليها أن تتّحد لمواجهة الخطر اليهودي والتّآمر الغربيّ "وجرّ الرّجال القرش. كان عظيماً، جرّوه وبرّروا بعظمته للمرأة وللمدينة عجزهم عن الإمساك به بسهولة. ورأت المرأة أنّ ابنها لم ينكسر أمام خصم سهل!"(3).

– شخصيّة ليلى:

(1) خوست، ناديا، حبّ في بلاد الشّام، ص480.
(2) المصدر نفسه، ص481.
(3) نفسه وعينها.

يلتقي في هذا السّياق، دور المرأة؛ الأمومي والعشقي ويتضافران في ذات أنثويّة. لتجمع الذّات المحبوبة بين صور الوطن وذكريّات الأمومة، المحمّلة بشحنة الحنين. حيث مزجت بين المكان (الوطن– فلسطين) والشّخصيّة (ليلى) ليحدث التّماهي الذّوبان بينهما. تظهر فلسطين مرتدية جسد الضّحيّة، فكان الوطن المرأة، والوطن الجسد، والوطن الحبّ. كانت فلسطين لأبنائها كالأمّ الّتي حُرموا حضنها وحنانها. وحالُ (قيس) كغيره من أبناء فلسطين الّذين تشرّدوا في أنحاء البلاد. حامَ قيس حولها بعد النّزوح من قُرب ومن بُعد متنقّلاً بين مدن بلاد الشّام وأوروبّا لاجئاً من اليأس والشّوق: "لا! يُستعاد حبّ الأمّ الّذي حُرِم منه. هناك تحت الخروبة الوارفة في البيدر تحت الزّيتونة، تحت السّقف العقد. كان يُريد أن تحتضنه أمّه، وتُشبعه من حبّها! وهناك لم يحدث ذلك!"(1).

عندما يفقد الإنسان شيئاً يبحث عن البديل. وبفقد قيس لحضن الأمّ (الوطن) وجد البديل في الحبيبة. فكانت (ليلى) رمزاً للحبية فلسطين: "تبحث يا قيس عن الحلم؟ ضاعت البلاد فاخترعت امرأة في سعتها؟ عصر قلبه وخاطب حبيبة بعيدة. لمس الأشواق الّتي تفور في قلب لا يرويه حبّ موجود إلى حبّ غير موجود، حكى عن عذاب لا يدري أهو عذاب الحبّ أم عذاب الحلم الّي يهرب كأنّه توق إلى ما لا يوجد إلا في الغيب الموعود!"(2).

أحبّته ليلى وبادلته الشّوق والحنين. ولكنّها كانت تصدّ عنه لأنّه لا يؤتمن، فكانت كوطنه فلسطين كالحلم والسّراب. لينتقم قيس من غربته وشوقه لحضن الأمّ، وصدود المحبوبة، بجلافته مع النّساء اللّواتي عاشرهنّ. رمزت النّساء للبلدان الّتي استضافت قيساً؛ ولكنّها لم ترِوِ عطشه وشوقه وحنينه لحضن الأمّ (الوطن): "فهل أبعد عنه في جلافة النّساء اللّواتي أحببنه، لأنّه كان ينتقم من أمّه الّتي لم تفهم شوقه إلى حنانها"(3).

(1) خوست، ناديا، أعاصير في بلاد الشّام، ص40.
(2) خوست، ناديا، دماء وأحلام في بلاد الشّام، ص509.
(3) خوست، ناديا، أعاصير في بلاد الشّام، ص40.

اختارت الكاتبة الجنس ومعاشرة النّساء عند استحضارها البديل عن المعشوقة لأنّ كلاهما يُمثّل الإنجاب والخصوبة والأمومة. فكانت خصوبة فلسطين سبباً لطمع اليهود بها. اشتياق قيس لفلسطين جعله يرى جسد ليلى وطناً، وهنا أخذ المكان دلالته الرّمزيّة والتأثيرية من خلال الشّخصيّة.

إنّ إحالة الشّخصيّة إلى الوطن لا ينتهي عند هذا الحدّ، بل يمتدّ إلى درجة القداسة: "حفظ ثيابها وفهم أنّها تحبّ اللّون الأزرق والأخضر والأبيض. فسأل صاحبه: أيمكن أن تكون عاشت في القدس"(1).

نجد أنّ تخيّل (قيس) لفلسطين من خلال المحبوبة (ليلى) راجع إلى الرّغبة النّفسيّة المُلحّة لأنّ (قيس) في غربة حقيقيّة لنزوحه عن أرض الوطن وتشرّده. وهو في غربة رمزيّة من خلال تشرّده العاطفيّ حاول التّعويض عن غربة الوطن بإقامة وطن صغير وبناء أسرة لتزداد غربته: "أوهمه الشّباب بأنّه يستطيع أن يؤسّس أسرة ووطناً في مجتمع غريب! فإذا به يكتشف بعد عمر أنّه بين مجموعة يصلّي كهولها للأمس وشبابها للخلاص من الاشتراكيّة"(2).

(1) المصدر نفسه، ص203.
(2) المصدر نفسه، ص11.

تصنيف الشّخصيّات في روايات ناديا خوست:

سيتمّ التّصنيف حسب صفة الشّخصيّة، ثمّ إبراز دلالاتها الفنّيّة وأفعالها وأقوالها الدّالّة على ذلك.

أولاً- شخصيّة الرّجل:

- شخصيّة المُناضل والقيادي:

ظهرت شخصيّة المناضل السّياسي في روايات (ناديا خوست) من خلال تسليط الضّوء على مجمل أفعال هذه الشّخصيّات. لا سيّما أنّ زمن الأحداث يتوافق وزمن الأحداث القياديّة نحو الحريّة ومقاومة الاحتلال.

تمّت الإشارة إلى (السّلطان عبد الحميد) الّذي حكم بالعدل بين العرب والأتراك في رواية (حبّ في بلاد الشّام). فَهِمَ التّوازن، وأبقى الدّولة سليمة حتّى آخر برهة من حكمه وسُلطته. بأمرِهِ تحوّل الخيالُ مُمكناً، كبناء قصر يلديز بأمرٍ منه، وموافقته على مدّ خطّ القطار. رفض بيع فلسطين لليهود. وردّ على هرتزل بقوله: "هذه أرض الأمّة ولا يملك حتّى السّلطان نفسه أن يبيعها لأحد"(1).

أُسقطَ السّلطان من قِبَل (الماسونيين والدّونمة)(2) بمساعدة الفاسدين. انتهى زمنه ونسيَ النّاس حكمته وأنّه رفض بيع أرض فلسطين. وتذكّروا استبداده فقط. جُمِّدت صلاحياته وأُهين، اتُّهِمَ بالجنون واللّهو مع النّساء وسرقة أموال الدّولة. وبلغت الإهانة ذروتها بأن

(1) خوست، ناديا، حبّ في بلاد الشّام، ص302.

(2) الماسونيّة أو البنّاؤون الأحرار: منظمة عالميّة يتشارك أفرادها عقائد وأفكار واحدة فيما يخصّ الأخلاق وتفسير الكون والحياة والإيمان بالخالق. تتصف هذه المنظمة بالسّرّيّة والغموض الشّديدين خاصّة في شعائرها. يرى الكثيرون أنّها تسعى للسّيطرة على العالم والتّحكم فيه وتوحيدهم ضمن أفكارها وأهدافها، وتتّهم بأنّها من (محاربي الفكر الدّيني) وناشري الفكر العلماني، ويؤكّد الكثيرون في الشّرق الأوسط أنّها تابعة لتنظيمات صهيونيّة استناداً إلى الكثير من العقائد والأفكار المشابهة لها.

الدّونمة: حركة دينيّة ذات أصول يهوديّة. اتّخذت شخصيتين مزدوجتين إسلاميّة ظاهريّة، ويهوديّة باطنيّة. أثّرت هذه الجماعة في الفكر التّركي المسلم. مع توجّهها إلى تقليد الغرب. واتّخذوا شعار الماسونيّة: الحريّة، الإخاء، المساواة شعاراً لهم. تغلغلت هذه الطّائفة داخل أنظمة الدّولة في تركيّا بهدف السّيطرة عليها سياسيّاً واقتصاديّاً ولتحقيق مبتغاها.

يُبلّغ السّلطان قرار خلعه عن الخلافة يهوديّ: "قال السّلطان غاضباً: ما شُغل هذا اليهودي في مقام الخلافة؟! وارتبك قره صو، لكنّه نقل لمُخبري الصُّحف غير ذلك"(1).

حكم السُّلطان بالعدل بين العرب والأتراك، وفهم توازن القوى، وحرص على حماية الأرض العربية. لكنّه عجز عن حماية الدّولة بمفرده لأنّها كانت محكومة بوضعها بين دول أقوى منها، وفساد الضُّباط والأمراء والباشوات، والموظفين.

برزت شخصيّة (جمال عبد النّاصر) في رواية (دماء وأحلام في بلاد الشّام) كأنموذج للقياديّ سيّء الإرادة. كان رجلاً وطنيّاً ذا صلاحيّات لا يقيّدها الدّستور. لكنّه شُغِلَ بعد الوحدة مع سورية عن الخطر الصّهيوني بضرب القوى الوطنيّة. فركّز جهوده على الصّراع الدّاخلي. وردّ على لسان عمر في رواية (دماء وأحلام) مبيّناً خطورة ما فعله عبد النّاصر: "قال لهم سيُنفّذ باسم الحريّة ما لم تنجح فيه المؤامرات على سورية! عبد النّاصر ليس رجلاً وطنيّاً فقط، بل رئيس ذو صلاحيّات لا يُقيّدها الدّستور. كما يُقيّد الدّستور في سورية الرّئيس"(2).

كان (جمال عبد النّاصر) واضحاً في مواقفه مع إسرائيل، ولكنّه لم يعِ أنّ الصّراعات الدّاخليّة والعربيّة تؤثر في المعركة المفروضة مع الصّهيونيّة. وعندما وعى جوهر الصّراع الصّهيوني تمّت تصفيته.

اتّصف (شكري العسلي) بالصّدق والتّواضع والدّماثة، ممّا قرّبه من النّاس ومن فئة الشّباب خاصّة. لم يكن كبيراً في السّنّ. درس في باريس تقلّد العديد من المناصب الإراديّة. لاحقَ الفساد في الدّولة، أسّس حزب الأحرار المعتدلين وكان من أهدافه: "حفظ المملكة

(1) خوست، ناديا، حبّ في بلاد الشّام، ص552.
(2) خوست، ناديا، دماء وأحلام في بلاد الشّام، ص271.

العثمانيّة... والمدارس العلميّة... ألسُن العناصر الأدبيّة وآثارها.. تأمين العدل وتحويل الأعشار لراحة المزارع.. الأمّة اليوم مُخالفة للاتّحاديين لسوء تصرّفهم بإدارة المملكة.."(1). أدرك العسلي جوهر الصّراع، وأنّ الصّهيونيّة مسنودة ومدعومة عالميّاً ممّن ظنّ العرب أنّهم سندهم. حاربَ في كلّ الاتّجاهات، وسعى لكسب الزّمن، ولكنّه بدا كمن يصرخ في فلاة.

واجهه الصّهاينة والاتّحاديون بلؤمٍ ومكر. اتّهمَ بالتّطرّف والبُخل. لكنّ (العسلي) ثبت على مواقفه في كشف المخطّطات والمؤامرات. فكان بثباته أشبه بثبات الأنبياء على نشر رسائلهم السّماويّة: "أمّا الآن فهو لا يستطيع أن يوقف سير الزّمن. لكنّه سيظلّ يكشفه! هذا الحزن الشّخصي لا علاقة له بقراره "لو وضعوا الشّمس في يميني والقمر في يساري.." (2). الشخصيّات السّابقة (السّلطان، جمال عبد النّاصر، شكري العسلي) شخصّيات واقعيّة. كان لها أثر في تطوّر الأحداث، وكشفت الكاتبة من خلالها المسكوت عنه.

عانى الشّاب الفلسطيني من التّشرّد في أنحاء البلاد. حاربَ للعودة من دون جدوى، (كقيس) المولود في قرية (صفّوريّة) الفلسطينيّة، الّتي أبادها اليهود. كان محور الأحداث في رواية (أعاصير في بلاد الشّام)، درسَ الفلسفة، وكتب الشّعر. وعند اندلاع الحرب تمَّ تهجيره من قريته كحال غيره من الفلسطينيين "عاد قيس إلى صفّوريّة متسلّلاً في عتمة اللّيل ليملأ صدره بهوائِها للمرّة الأخيرة: كتب قيس في سجل حياته هذه أوّل مرّة رجعتُ فيها إلى فلسطين"(3).

مشى (قيس) في رجوعه الأخير على بساط الأحزاب، اتّهم بالإلحاد، سُجِنَ مرّات عديدة، وبدلّ المنفى بالمنفى، تنقّل بين المنظّمات ودخلَ حياض خلافاتها، وتنظيرات قادتها

(1) خوست، ناديا، حبّ في بلاد الشّام، ص326.
(2) المصدر نفسه، ص378.
(3) خوست، ناديا، أعاصير في بلاد الشّام، ص115.

وحروبها الصّغيرة. امتلكَ حدس الأنبياء وبصيرة المنجّمين، وقدرةً على قراءة الزّمن. احتضنته أغلب الدّول العربيّة والغربيّة، ولكنّها لم تروِ عطشه وشوقه لحضن الوطن الأمّ (فلسطين): "فظلّ عطشه إلى الأمّ قويّاً، قاهراً، مع أنّه رفض بكبرياء أن يتصوّر أنّه كان يشتهي في المرأة، الأمّ!"(1).

حاول التّعويض عن حضن الأمّ، بحضن المحبوبة (ليلى) ولم تكن هذه المعشوقة إلّا رمزاً لفلسطين الّتي حامَ حولها متنقّلاً بين مدن بلاد الشّام وأوروبّا لاجئاً من اليأس والشّوق. وصورتها في ذاكرته وقلبه لتحميه وتمنحه القوّة والأمل بالعودة: "ربّما كانت ليلى زمناً، سنوات مجيدة وجميلة في بلاده، الجزء الّذي يعتزّ به من عمره! لذلك يجب أن يلقاها ذات يوم! لا بُدَّ أن يلقاها ذات يوم"(2).

برز قيس كأنموذج للشاب الفلسطيني الّذي تنقّل بين مدن العالم لاجِئاً من اليأس والشوق، وهو يحمل معه ذكريات الطفولة. يعود بعد سنوات من الهجرة ويعيش في بلدة قريبة من قريته.

– المعتقل:

ولد المحامي (عبد الرّحيم) في صفد، امتلك منزلاً يشبه السّرايا. كانت لديه أمّ شبه عاجزة، تزوّج (سعاد) ابنة فاطمة، درس الحقوق في استانبول، وامتازَ بطيب المعْشَر والهدوء والحكمة، والفطنة في السّياسة. وصفه الرّاوي في رواية (وداع ولقاء في بلاد الشّام) بقوله: "عبد الرّحيم طيّب المعشر سهل في المعاشرة وفي السّياسة طويل البال، هادئ""(3).

كان مثقلاً بالهمّ الوطنيّ، وأحلام الثّورة العربيّة، وهو من الأشخاص الّذين فاوضوا زعماء اليهود الّذين ابتُلي بهم العرب. أقام في المُعتقل أكثر من بيته، فغدا المعتقل جزءاً من

(1) خوست، ناديا، أعاصير في بلاد الشّام، ص35.
(2) المصدرنفسه، ص37.
(3) خوست، ناديا، وداع ولقاء في بلاد الشّام، ص63.

عمله. عانى في المعتقل الخوف والقلق مُترقّباً موته في أي لحظة بين رصاص الإنكليز وألغام الثّوّار. وهو الّذي عُرِف بهدوئهِ. ولكنّه لم يستطع الحفاظ على هدوئه ومعطيات الواقع الفلسطيني تؤشّر لانتصار الغزاة، وخسارة العرب لفلسطين. عدا عن الإرهاب الّذي يمارسه الإنكليز في المعتقل، بابتكارهم أساليب في التّعذيب لكسر روح المقاومة السّياسيّة: "في الأسابيع الأخيرة من اعتقاله رُمِيَ بين السّياسيين فلّاحون عذّبهم الإنكليز، قدّر المعتقلون أنّ الإنكليز قصدوا بهم إرهاب السّياسيين. حدثَ عكس ما تمنّى الإنكليز. أضربنا عن الطّعام"(1).

استمرّ عبد الرّحيم في نضاله ومُرافعاته في المعتقل، كردّه على الضّابط الإنكليزي الّذي سدّد البنادق على المعتقلين لقتلهم ثاراً لمن قتله الثّوّار منهم. ردّ على الضّابط كمحامٍ في قاعة المحكمة ليقول لهم: إنّ منحهم فلسطين للغرباء، وسلخها عن أهلها وتاريخها الّذي دفع الثّوّار لزرع الألغام! لأنّهم أصحاب حقٍّ. لجأ عبد الرّحيم إلى العراق كغيره من السّياسيين، فشعر أنّه في غربة ومُعتقل أقسى من المُعتقل في فلسطين: "فالمُعتقل والبيت مكانان في الوطن. فلماذا تفرض سعاد الغربة عليه؟"(2). عبد الرحيم أنموذج للمناضل السياسيّ الفلسطيني، جاهد سياسيّا للدفاع عن تراب الوطن وقدسيّته على حساب عائلته. وتنتهي مسيرته النّضالية بالهجرة والغربة.

عرفنا الفروق بين مُعتقل وآخر عبر الأزمنة من خلال شخصيّة (عمر) الّذي اعتُقل مرّتين. درس عمر الطّبّ في دمشق، هو من الحسكة (مدينة الطّبقة شمال سوريّة). انخرط فيس أثناء دراسته الطّبّ بالسّياسة كما يُسمّيها زملاؤه، وأسماها هو عملاً وطنيّاً،

(1) خوست، ناديا، وداع ولقاء في بلاد الشّام، ص441.
(2) المصدر نفسه، ص485.

بقي حرّاً دون ولاءٍ لأيّ حزب: "لن ينتسب إلى أيّ حزب فيُقيّد نفسه بنظامه وأوامره ويُحاسب على كلمة زائدة وكلمة ناقصة. لكنّه لا يوافق على إلغاء الأحزاب"(1).

قرّر ألّا يرتبط بفتاة قبل التّخرج واستقرار البلاد. نضجت شخصيّة (عمر) في السّجن. اعتُقل مرّتين، كانت المرّة الأولى في زمن (الشّيشكلي). رأى وزملاؤه إفساد الضّباط بالنّساء وإشغالهم عن قضيّتهم المحوريّة، لم يتمالكوا أنفسهم، فصرخوا: "صرخ عمر مع زملائه الطّلّاب: تسقط الدّكتاتورية، يسقط الإرهاب وجدَ نفسهُ معتقلاً مع مجموعة منهم"(2).

اكتشف عمر في المُعتقل كيف يُهان الإنسان وتُداس كرامته ويُشتَم بألفاظٍ مهينة. ومن الدّروس الّتي تعلّمها أنّه حتّى في السّجن لا يُمكن للفرد أن يناضل إذا لم يتّحد مع المجموعة ويلتزم ببرنامجها.

علّمه السّجن الإحساس بالفقراء الّذين لا سند لهم، وأنّ المُعتقلَ يُعامل كبضاعة. صُلِبَ وضُرِبَ في سجن تدمر. ظنّ أنّ كرامته بصلابته وعدم صراخه من الألم، وتحّديه للجلّادين، ليكتشف العكس: "بل يجب أن تصرخ كيلا تزيد من حقدهم عليك. لكنّه ظلّ دَهِشاً من اندفاع الجلّادين الّذين ضربوه: كأنّ بيني وبينه أحقاد، كأنّي أكلتُ مالَ أبيه!"(3).

اعتُقلَ (عمر) مرّة ثانية في زمن (عبد النّاصر) في أثناء الوحدة بين سوريّة ومصر. وتبيّن الفروق بين سجون الشّيشكلي وسجون عبد النّاصر. وهَبه الاعتقال في زمن الشّيشكلي سُمعة الوطنيّ الجريء.

واستُقبل عند خروجه كبطلٍ شجاع ولم يطل اعتقاله في زمن الشّيشكلي بينما في زمن عبد النّاصر مَن اعتُقِل فهو خائن ويجوز قتله، ولا يعرف المُعتقل متى يخرج، ولا يجرؤ أحد

(1) خوست، ناديا، وداع ولقاء في بلاد الشّام، ص97.
(2) المصدر نفسه، ص98.
(3) خوست، ناديا، دماء وأحلام في بلاد الشّام، ص98.

على الوساطة له أو السّؤال عنه. ويُعذّب بأبشع وأقسى أنواع التّعذيب: "كرّروا ما يعرفه، الحرق بالسّيجارات، التّعليق من الذّراعين، الفلقة حتّى تتورّم القدمان. ثمّ جرّوه على الأرض في الممرات حتّى الزنزانة، وغطّوه بالشّتائم"(1).

استعان عمر بطيف محبوبته لمقاومة الوحدة والغربة الّتي عاشها في المُعتقل.

عرفنا من خلال شخصيّة عمر الفروق بين المعتقلات ومعاناة الشباب العربي، وانعكاس اضطرابات البلاد السياسية والاجتماعيّة على حياته ومستقبله.

– العميل:

يعدُّ خطر العميل والخائِن أعظم من خطر المحتلّ؛ لأنّه الأداة الّتي يعتمدها المحتلّ لتحقيق مبتغاه. يخون العميل أهله ويبيعهم مقابل بعض المال، أو للحصول على وظيفة (كعبد الرّحمن باشا اليوسف) في رواية (حبّ في بلاد الشّام) انشغل بغناه وأُبّهته وأملاكه. يدلُّ كلُّ ما في بيته من أثاث على ذوقهِ وولائهِ للغرب. تملّق اليوسف لصاحب السّلطة، قال عنه خالد آغا: "كلّ من يتزوّج أمّه فهو عمّه" خيره للغريب وليس لأهل بلده، كحجبه المال عن البعثات العلميّة، واستقباله أعضاء وفد سالونيك ضيوفاً في قصره في سوق ساروجا. خان السّلطان وانقلبَ عليه. وتعدّى ذلك لخيانة بلده مع أجنبيّ، اجتمع برجال الأحياء وعرض عليهم الذّهب ليسمحوا بدخول الفرنسيين دون مقاومة وأقسم عليهم ألّا يبوحوا بالسِّرّ وبرّر خيانته بقوله: "لنَكُن واقعيين، فنُفَكِّر في الضّحايا الّتي سنخسرها إذا قاومنا الجيش الفرنساوي! ستقصف الطّائرات بيوتنا وتحرق بساتيننا. بالحُسنى نصل إلى ما لا توصّلنا إليه بالقوّة"(2).

استغلّ الشّيخ (أسعد شقير) الإسلام كغطاء لخيانته وعمالته. كان مقرّباً من (جمال باشا). تولّى منصب مفتي الجيش الرّابع. امتازَ بغناه وهيبته واعتداده بنفوذه، واستغلّ منصبه لإذلال النّاس وإلحاق الأذى بهم وبالرّموز الوطنيّة.

(1) خوست، ناديا، دماء وأحلام في بلاد الشّام، ص306.
(2) خوست، ناديا، حبّ في بلاد الشّام، ص320.

اكتشف المحامي عبد الرّحيم الشّاهد على خيانة الشّيخ (أسعد شقير) بعد هبّة العراق. عندما عارض قرارات المؤتمر الإسلامي الّتي أكّدت حقوق العرب والمسلمين في المسجد الأقصى وحائط البراق: "فماذا فعل أسعد الشّقيري وفخري النّشاشيبي؟ دَعَيا إلى مؤتمر الأمّة الإسلاميّة في كانون الأوّل. واهتمّا بمعارضة المجلس الإسلاميّ لأنّ رئيسه الحاج أمين، وحاولا أن يَقْنُصَا بعض الوفود إلى مؤتمرهما! فهل هذا عمل وطنيّ؟ ومَن أنْفَقَ على مؤتمرهما؟ أصحاب النّشاشيبي الصّهيونيّ منهم ليفي مدير بنك أنكلو فلسطين! هذا هو إسلام أسعد شقير!"(1).

شوّه سمعة الإسلام والمسلمين وكانت نهايته عند مقتل ابنه الطّبيب (أنور شقير) الّذي قتله الإنكليز مات الشّيخ أسعد حزناً وكمداً عليه.

شارك العملاء باحتلال البلاد بخيانتهم وطمعهم بالمناصب والأموال. فاستغلّ بعضهم الدّين كغطاء لخيانته (الشيخ أسعد) واستغلّ بعضهم منصبه لخدمة المستعمر (عبد الرّحمن باشا اليوسف).

– الفلّاح:

ولد (يوسف) في دمشق في سوق ساروجا. تعلّم في المدرسة الرّشديّة والإعداديّة. تولّت أخته نفيسة الّتي تصغره بسنتين إدارة شؤون حياته. عشِق الأرض والعمل بها. كان رائعاً في الزّراعة وتخطيط المشاريع. لم تستهوه تجارة اللؤلؤ كجدّه ووالده: "كان يختلف عن أبيه وجدِّه. ولم يكن من الجيل الّذي يستهين بالأرض مفتوناً بالسّهر في بيروت! يحبُّ الفرس، يألف الأمكنة وكم كانت الأرض خيّرة"(2).

(1) خوست، ناديا، حبّ في بلاد الشّام، ص597.
(2) المصدر نفسه، ص12.

عشق (يوسف) الأرض، اعتنى بالبستان وزرعه بيديه وسَقاه من عرق جبينه. فكانت ذرّات التّراب أغلى من الذّهب. نستشفّ أهميّة الأرض بالنّسبة له، وقيمة ترابها من خلال حواره مع ابنته منوّر: "سألته منوّر: آتيك بطرّاحة من بيت البساتين؟ فأجابها في رفْق: لا أجلس على ذهب! وملأ كفّه بالتّراب: هذا هو الذّهب يا منوّر، منه الخير، الأشجار والورود! ... ومنه سِوارك قرطاكِ الّتي وجدناها أثناء الفلاحة"(1).

لم يستغلّ الفلّاحين الّذين عملوا معه في البستان. كان رحيماً بهم عاملهم بودٍّ واحترام. ساعدَ الفقراء والمحتاجين، والأرامل واليتامى.

لعبَ القدر الّذي عصف ببلاده بمصير أسرته. وسلبه ما جناه في حياته، سلبه أرضه الّتي استعارها منه (أبيلا) اليهوديّ الإنكليزيّ بحجّة التّنزّه، فاستخدمها كمحطّة للهجرة الصّهيونيّة.

وعندما طلب منه أن يردّها له راوغ بقوله: "هذه الهجرة تساعدكم على استثمار الأراضي وتُدْخِل إلى البلاد أموالاً وخبرة ستنهض بها. ستزدهر فلسطين الّتي تسعكم وتسعهم. يُساء السّلوك أحياناً، وذلك طبيعيّ؛ لأنّ الأمر جديد عليكم وعليهم"(2).

سُلبَتْ أرضه وبيته بالمكر والخداع، بالاتّفاق مع البنك الصّهيونيّ مُستغلّين طيبة قلب (يوسف) وشهامته لأنّه كَفِلَ شابّاً لا يعرفه. وعندما اكتشف المؤامرة مات حزناً وقهراً. كانت شهامته ولينه سبباً لخسارته أرضه وتشرُّد أسرته.

أخذ (نوري) مكان والده في العمل، وكان السّند والعون له. أحبَّ الأرض والعمل بها كوالده. وغدا العمل بها من أولويّات حياته. عرفَ الفقراء المتعفّفين عن السّؤال. والفقراء الّذين دفعهم الفقر للتّشليح، أو العيش في الكهوف كالحيوانات. رسّخت جولاته مع والده إيمانه بأنّ: "من يحمي الأرض يحمي الفلّاحين، يبقى السُّمسم والثّمار والخضار

(1) خوست، ناديا، حبّ في بلاد الشّام، ص597.
(2) المصدر نفسه، ص608.

والحبوب، الخرفان والوزّ والدّجاج، وهل تظنّ يا نوري أنّ هذا أقلّ من متابعة الحرب في حوران أو البلقان أو اليمن أو طرابلس! الأرض الآن هي البلد!"(1).

شعر نوري بعد وفاة والده أنّه كبر فجأة. وأصبح كبير العائلة، أبّ لإخوته ويُساق للخدمة العسكريّة ليُقتل بالطّيران الإنكليزي ويُدفَن في العراق.

أضاءَت شخصيتي (يوسف) و(نوري) جانباً مهمّاً من حياة الفلاّح، وأنّه بعنايته بالأرض يعتني بحياة كثير من الأُسَرْ الفقيرة. وأنّ عمله في الأرض لا يقلّ أهميّة عمّن يُجاهد في ساحات المعارك.

– شخصيّة الآخر:

المستعمر – الغرب:

برزت شخصيّة الجندي الإسرائيلي في روايات الكاتبة ناديا خوست من خلال ممارساته الوحشيّة. فالجنديّ في زمن الاحتلال هو وجه الدّولة اليهوديّة وعنوانها. ولا فرق عندهم بين جنديّ ومُجنّدة فالجميع يمثّلون الاحتلال وينفّذون أوامره بأساليب قمعيّة. كالمجازر الّتي ارتكبها الجنود الإسرائيليون في قُرى ومُدن فلسطين بعد احتلالها. منها مجزرة عين الزّيتون الّتي احتلّها البالماخ، ومجزرة قرية الصّفصاف: "جمعوا أهل القرية، انتقوا منهم الشّباب ابتداءً من سنّ الثّانية عشرة من العمر. صفّوهم قرب جدار. تقدّمت جنديّة معها سِتن، ورشّتهم. مشَت قُرب القتلى وتفقّدتهم. رشّت من رأته يتحرّك. ثمّ انتُقيَ من أهل الصّفصاف أولاد دون الثّانية عشرة. قيّدهم اليهود وأوقفوهم وسط الطّريق مرّت مجنزرة فوقهم. تصرخون يا أهل الصّفصاف؟ تنوحون؟! ابكوا موتاكم ثمن قتلانا! ... احبسوهم وامنعوا عنهم الطّعام والماء"(2).

(1) خوست، ناديا، حبّ في بلاد الشّام، ص608.
(2) المصدر نفسه، ص267.

تباهى الجنود الإسرائيليون بمجازرهم، وبإنجازاتهم، إذ ليس للإنسان العربيّ قيمة عندهم، فهُم يتعاملون مع الشّعوب الأخرى بعنصريّة. برزت شخصيّة الإسرائيلي صاحب الأموال والشّركات.

الإسرائيليّ السّياسي أيضاً. كشخصيّة (وايزمن) الّذي شارك في الفتنة بين العرب والدّولة العثمانية وانفصالهما، وكان له الفضل بمنح اليهود وعد بلفور، عُرِف بين اليهود صهيونيّ له الفضل في قيام الدّولة الصّهيونيّة، وقُدِّم بين الغربيين كرجل غير متديّن. لم يتَساهَلْ حتّى مع اليهود في الوصول إلى طموحاته، أخفى الحقائق واستغلّ النّاس وممّا أقرّه في مذكّراته: "لكن وايزمن كان يكتب في مذكّراته نعرف أنّ أبواب فلسطين مُغلَقة، وأنّ القانون التّركي يمنع تملُّكنا الأرض. لكنّنا نعبر ذلك بالرّشوة والتّزوير... الجهاز التّركي فاسد. وفي ذلك النّظام الفاسد بُنيت المستوطنات الأولى"(1).

ونتبيّن في رواية (أعاصير في بلاد الشّام) مُراوغة الغرب ومكرَه أثناء نشر قوّات الانتداب للحفاظ على السّلام والهُدنة بين اليهود وأهل فلسطين، فكانت قوّات الانتداب من مختلف الجنسيّات الغربية المراوِغَة المنحازة لليهود. ويؤكّد ذلك ما ذكره بهاء الدّين في مذكّراته أثناء نضاله على الجبهة في فلسطين: "زارنا مُراقبوا الهُدنة بلجيكيّ، وأمريكيّ، وفرنسيّ. طمأننا الأمريكي: لنْ يُهاجمكم اليهود! فهمس الفرنسيّ كلّ شيء مُحتمل! فَهِمنَا أنّ الهجوم قريب! أمر القاوقجي بإبعادهم لأنّه شكّ في أنّهم يتجسّسون علينا"(2).

- شخصيّة المرأة:

- الزّوجة والأمّ:

(1) خوست، ناديا، حبّ في بلاد الشّام، ص551.
(2) خوست، ناديا، أعاصير في بلاد الشّام، ص101.

قبل أن تكون المرأة أمّاً فهي زوجة، وبيتها مملكتها. تتحمّل زوجها بسلبيّاته وإيجابيّاته. لكنّها في روايات الكاتبة (ناديا خوست) تميّزت بتفرّدها وقوّة شخصيّتها وحرّيتها المطلقة، لكنّها حريّة لا تخرج عن إرث الكرامة الّتي ثارت على العادات الشّرقيّة والعُرف السّائد بالطّاعة والتّسليم للرّجل.

تميّزت (فاطمة) زوجة (يوسف) في رواية (حبّ في بلاد الشّام) بجمالها وأناقتها بالرّغم من بساطة لباسها. تربّت يتيمة في بيت خالها إسماعيل. عُنِي بها ودلّلها كجوهرة نفيسة. خرجت من عنده عروساً إلى بيت (يوسف) وهي في الرابعة عشر من عمرها. أدّبت زوجها وثارت على عاداته الشّرقيّة منذ اللّيلة الأولى على الرّغم من صِغرها. هجرته سنتين لتؤدّبه وتغسله من العادات الشّرقيّة البالية كما يغسل المطر الشّجر والحجر. هجرته رغبةً في تأديبه، ولم تهجره لأنّها راغبة في الانتقام منه: "فهل أذهلَ هذا التّمرّد يوسف يوم طرق يوسف الباب فلم تفتح له؟ يومَ لم يتناول مِفتاحه من جيبه لأنّه رجل عائد من المقهى ويجب أن يكون في انتظاره من يفتح الباب له ويُسخّن له العشاء مهما تأخّر؟ وقت حاسبتها لأنّها رفعت رأسها إليه وطارَ النُّعاس من عينيها. ذُهِلَتْ"(1).

شكّلت هذه الحادثة حاجزاً نفسيّاً بينهما. لكنّها عندما تأخّرت بالإنجاب لم تهجره كما فعلت في ليلتها الأولى، ولم تطلب الطّلاق كالنّساء الضّعيفات، بل حزمت أمرها وقرّرت الحفاظ على زوجها الّذي يُحبّها. استقرّا في حيفا، واستعادت قوّتها بأولادها، وبحياتها الّتي نسجتها الزّيارات اليوميّة والعمل والجيران. لم تكن علاقتها بزوجها العلاقات الزّوجيّة الرّوتينيّة. بل هي الّتي ربّته وهذّبت طباعه، وأفهمته أنّه لا يستطيع أن يملكها إلّا بالحبّ والرّضا. علّمته أنّ الزّوجة محبّة ومحبوبة وليست جارية أو عبدة. فكانت تعلو عليه عندما يُخطئ بحقّها بصمتها وترفّعها عن الكلام وتستُّرها على أخطائه: "ولكنّه مع ما وهبته من معرفة

(1) خوست، ناديا، حبّ في بلاد الشّام، ص665.

الحياة والعمر من التّذوّق في هدوء، بعد أن تعلّم الأكل في تأنٍ، والنّظر إلى الغروب في تأمّل، والاستماع إلى الأصدقاء والأعداء في حكمة وانتباه"(1).

كانت كالسّراب؛ لأنّها لا تغفر ولا تنسى الأخطاء. فتجعل الماضي حفرة بينها وبين النّاس، عدا عن مهارتها بإخفاء مشاعرها المضطربة بملامح وجهها الهادئة. وهبت كلّ حياتها لأبنائها. وحرصت أن يكون مأكلهم من الحلال. وحرصت على تعليمهم المبادئ والقيم وأصول الدّين بالتّرغيب. برز خوفها الوحشيّ على أولادها أيّام الكوليرا، وسجنتهم في الكرم أربعين يوماً خوفاً عليهم: "حبست فاطمة أولادها أيّام الكوليرا في ذلك الكرم، وحجبتهم عن أبيهم الّذي بقي يُتابع أعماله في حيفا، ومنعت أن يأتي شيء من خارج الكرم"(2).

مثّلت فاطمة ذوق وحضارة البلد، جمعت بين حضارة دمشق وفلسطين، واعترف لها بذلك القنصل الإنكليزي اليهودي (أبيلا) "لم أعرف بين العربيّات مثلك"(3).

نجد بالمقابل شخصيّة الزّوجة البسيطة المستكينة ذات التّفكير السّطحي. مثّلت (أم حمدان) في رواية (شهداء وعشّاق في بلاد الشّام) قمّة التّخلّف، فكانت سيئة الأخلاق في تعاملها مع النّاس، ومع زوجة ابنها. اشتهرت بغناها وغرورها. وهي غير متعلّمة رأت أنّ الغنى بالمال. وليس بالعقل والعِلم. عدّت زوج ابنتها غريباً وليس لابنتها الحقّ بإرث أهلها بعد زواجها. وممّا دلّنا على سوء أخلاقها وجهلها نميمتها على النّاس ونقدهم نقداً سطحيّاً: "رأت جارة نحيفة من جارات منوّر فقالت؛ تضع الأساور في يدها! لتضعها في خصرها! أشارت إلى أخرى وقالت: أنفها مثل مزراب السّطح!"(4).

كانت زوجة ابنها بمفهومها كالدّجاجة الّتي تبيض الصّيصان، وأنّ المرأة تحكم بيتها عندما تُنجب الصّبيان وبالمال. لا يهمها الأخلاق والعلم. لم تكتف بقياس الحبّ بالمال.

(1) خوست، ناديا، حبّ في بلاد الشّام، ص665.
(2) المصدر نفسه، ص538.
(3) خوست، ناديا، حبّ في بلاد الشّام، ص538.
(4) خوست، ناديا، شهداء وعشّاق في بلاد الشّام، ص154.

بل وأهانت العلم والمتعلّمين بالسبّ والشّتيمة، كقولها لسعاد: "في يدكِ أن تكوني سعيدة أو شقيّة! كنت تريدين متعلّماً مثل أخيك؟ المتعلّمون عندنا يقرؤون في المقابر! تسبُّ هذه المرأة المتعلّمين؟"(1). بلغ الجهل بها أن تعدّ زوجة ابنها (سعاد) حيواناً شرساً يجب أن يروّض بالجوع ليكون أنيساً.

– المُناضلة:

شكّلت المرأة المناضلة أنموذجاً يُحاذي شخصيّة المناضل، وربّما تخطّتها. فشاركت في المظاهرات والاجتماعات، وفي النّضال المسلّح كانت لها بصمتها. برزت في روايات الكاتبة عدّة شخصيّات (هند، شفيقة،) سندرس شخصيّة (سعاد) والّتي جسّدت نضال المرأة الفلسطينيّة. وهي ابنة حيفا درَست وتعلّمت في مدارسها. تزوّجت (حمدان) وظنّت أنّها ستعيش معه الحبّ الّذي تحلم به كلّ فتاة، ولكنّه كان حبّاً محمّلاً بالأشواق والصّراع على الكرامة؛ لينتهي بانفصالهما، وزواج سعاد من المحامي (عبد الرّحيم). هربت من وجع الحبّ لتعيش الوجع والقلق على البلاد. بدأت مسيرتها النّضاليّة معه، بل وتخطّته، فعندما حضرت اجتماع الاتّحاد النّسائيّ: "نظرت إليهنّ معتدّة بأنّها سترسم مسار حياتها إلى جانب عبد الرّحيم، وأحياناً أمامه، ستخطف منه مشروعه كأنّها هي الّتي اختارته قبله"(2).

حضرت النّدوات والاجتماعات، قابلت الزّعماء وقادة الثّورة كالقسّام. لم تخبئ السّلاح فقط، بل شاركت بنقله أيضاً. نقلت الرّسائل من زوجها في المُعتقل إلى الثّوّار ومنهم، فكان عليها أن تبتكر أساليب لإيصال الرّسائل وانتقاء كلماتها بدقّة؛ خشية وقوعها بيد الإنكليز: "في اللّيل طرقَ بابها شرطيّ عربيّ يعمل في المُعتقل أوصل لها رسالة ملفوفة كالسّيجارة

(1) المصدر نفسه، ص214.
(2) خوست، ناديا، شهداء وعشّاق في بلاد الشّام، ص390.

يجب أن تنقلها، ثمّ تضع الجواب في رغيف الخبز من كومة أرغفة الخبز رغيفاً مناسباً وستدفع الجواب بطرف السّكّين الدّقيق"(1).

ركضت (سعاد) من مُعتقل لمُعتقل مُتحمّلة جلافة الإنكليز لتزور عبد الرّحيم، وقد ترجع بطناجر الطّعام، وأحياناً لا تتمكّن من رؤيته. ذكّرها شقاؤها ونساء عكّا بأسطورة شهريار الّذي قتل النّساء لاكتشافه خيانة زوجته، ودفنهنّ في سور عكّا.

حمت (سعاد) رجال الثّورة وأوصلتهم لمناطق آمنة كالنّعيمي. وساعدت بكشف سماسرة اليهود كأبي صبحي. وشاركت بنقل السّلاح للثّوار مُصطحبةً ابنها زياد معها مُعرِّضةً حياته للخطر. كانت في كلّ مهمّة وفي كلّ مكان تمرّ فيها عُرضة للقتل. انشغلت سعاد بمعاركها وجولاتها النّضاليّة ونسيت أنّها تزوّجت لتكوّن أسرة تستقوي بها، فكان قضاء ليلة حميمة مع زوجها يُعتبر انتصاراً لهما على الغُربة والمُعتقل، وتعترف لنفسها أنّ: "الحبّ العميق الّذي يملؤها هو حبّ بلدها، ردّدت وهي تمسح ندى عينيها: نعم أكثر من الولد ومن الزّوج!"(2).

حزنت سعاد بعد هجرتها إلى دمشق، وإخماد الثّورة دون تحقيقها لأهدافها. ولكنّها ستُعزّي نفسها: "بأنّهم غرسوا بذور الثّورة الّتي ستنبت أجيال المناضلين"(3). سيكون ابنها (زياد) إحدى هذه البذور. ستُربّي فيه الشّوق لفلسطين ليستشهد على بوّابتها. ومن الشّخصيّات المناضلة (شفيقة، هند، زوجة فائز، ...).

- المتمرّدة:

طابقت شخصيّة (نفيسة) بهيئتها وصفاتها اسمها، فكانت كالدّرّة النّفيسة بتكوينها وشجاعتها واعتداداها بنفسها. ولدت في دمشق (سوق ساروجا) تميّزت بجمالها وملامحها

(1) خوست، ناديا، وداع ولقاء في بلاد الشّام، ص421.
(2) المصدر نفسه، ص447.
(3) المصدر نفسه، ص447.

الّتي أوحت بالقوّة والشّباب والنّضارة بالرّغم من التقدّم بالعمر. ونلمح إعجاب خالد آغا بنضارتها من خلال قول الرّاوي في رواية (شهداء وعشّاق): "رآها ترفع رأسها إلى القمر فَينهمر على وجهها. أيمكن أن تبقى امرأة نضِرة وجميلة وشابّة هكذا؟ يهبُ الطّيش جمالاً للشّباب؟ ليتهم يرون جمال النّضج وشباب الرّوح الّذي يراه الآن"(1). عبَرَت نفيسة العتبة خارج قدر النّساء منذ واجهت أباها وهي طفلة. وقفت أمامه وأعلنت له أنّها تريد أن تتعلّم كأخيها يوسف، وعندما رفع يده ليؤدّبها بالضّرب هربت واختبأت في ضريح الوليّ، وعندما سألها مازحاً إن كانت استأذنت الوليّ قبل النّوم قربه أجابته: "أنت حكيت لي أنّه أنقذ الأطفال الّذين كاد يُحرقهم غزاة البلد! يا للدّرس يا نفيسة! درسٌ لأبٍ ميّز بين فتاة مثلك وبين أخيها!"(2).

كانت هذه الخطوة بداية درب التّمرّد الّذي سارت عليه نفيسة وكأنّها استمدّت القوّة من الوليّ الرّاقد في منزلها، فجاورت بقربه الحياة والموت، كما ستجاور في حياتها الممكن والمستحيل بمحاربتها للعادات وخوضها ميادين كانت حِكراً على الرّجال.

استأثرت بعد هذه الحادثة باهتمام والدها وعنايته، وفضّلها على أخيها الّذي تفوّقت عليه في الحساب والتّجارة. علّمها كلّ ما تعلّمه في الحياة وكشف ما له من ديون على النّاس وما عليه، وكيف يتعامل مع التّجار. امتلكت من الشّجاعة والصّلابة ما يفوق شجاعة الرّجال، لحظة وفاة والدها خبّأت أكمار الذّهب قبل أن تُعلن موته، خبّأتها حرصاً عليها من تبذير أخاها الّذي يكبرها بسنتين. تمرّدت نفيسة حتّى بفرحها. لم يكن فرحها كفرح النّساء بالزّوج والأولاد والنّزهات في البساتين: "تعرف نفيسة الفرح... فرحها الآن لا تحتويه البيوت، يغمر بيتها الكبير ويمتدّ حتّى الجبال تشعر به في إيقاع الفرس، تشعر به وهي

(1) خوست، ناديا، شهداء وعشّاق في بلاد الشّام، ص80.
(2) المصدر نفسه، ص128.

ترى نفسها في عيون الرّجال الّذين يهابونها وتلمح الرّغبة المكبوتة في عيونهم، يخافون أن يُعلنوها أمامها ويخشون أن تعرفها"(1).

كانت الحريّة بمفهومها هي اختراق الحدود بين الرّجال والنّساء، واختراق الأعمال المحرّمة على النّساء بعُرف العادات والتّقاليد. عملت بتجارة الحرير. فرضت احترامها على التّجّار والفلّاحين معاً. تفوّقت على الرّجال بمهارتها، سمّوها أخت الرّجال، وسمّتها الفلّاحات أم حصان.

تأخّرت بالإنجاب في زواجها الأوّل، فتزّوج بالسّرّ الفلّاحة الّتي تخدمها، فأجبرته نفيسة خانم أن يُطلّقها؛ لأنّ مثلها لا يقبل الضّرّة. فكان حكمها: "يُعجب الرّجال من يدلّلهم ويُطيعهم ويتحاشون المرأة الّتي تظهر أنّها مثلهم، إنسان عاقل!"(2).

بدا زوجها الثّاني (ابن الكحّال) أنّه هو الّذي يرجو امرأة مطلّقة أن تقبله. بعد زواجهما بقيت سيّدة البيت أنجبت طفلتين ومات الصّبيّ، وبموته بدأ الشّرخ بعلاقتهما. انفصلا لأنّ زوجها لم يحتمل تفوّق زوجته عليه واعتمادها على نفسها، ونشأت بينهما بعد الطّلاق صداقة أعمق من الزّواج الّذي جمعهما لفترة. لم يأتمنها والدها على أملاكه وتجارته فقط، بل على المدن والبلاد وتاريخها وحضارتها وأوصاها بالحفاظ على تراث الأقدمين. التزمت بوصيّته بحفاظها على الفانوسين والمشرقة والبركة. كما حملت الأمانة والتزمت بوصيّة والدها في الدّفاع عن البلاد. ساهمت بنقل السّلاح للثّوار، وحمايتهم في بيتها.

آوت الأرامل والأطفال في بيتها أثناء القصف الفرنسي. تابعت أخبار الثّورة وتآمر الغرب واليهود على بلاد الشّام كرجل سياسة مُثقل بالهمِّ الوطنيّ: "يمتهن الفرنسيّون الموتى كي يُخيفوا مدينة! يُخيفونها؟ أيّة جرأة الآن في نفيسة! لو طلب الثّوّار عينيها لقدمتهما

(1) خوست، ناديا، حبّ في بلاد الشّام، ص134.
(2) المصدر نفسه، ص123.

لهم!"(1). كان نصيبها من الحزن ما تعجز المرأة العاديّة عن تحمّله فقدت أخاها وأولاده والرّجل الوحيد الّذي أحبّته وبالرّغم من ذلك صمدت كدمشق الّتي تعاقب عليها الغزاة وكأنّها استمدّت القوّة والصّلابة من مدينتها.

نجد أنّ أغلب الشخصيّات النّسائية هي شخصيّات مثقّفة متنورة، وسيدة نفسها وبيتها. لم تكن شخصيّات ضعيفة ومضطهدة كما يُصورها أغلب الأدباء والكتّاب. وشخصيّات الرّجال أغلبها مُثقفة، ومثقلة بالهمّ الوطنيّ، والدّفاع عن حريّة الوطن وهويته وقداسته. ويغلب على هذه الشخصيّات أنّها (مدوّرة) ويسميّها بعض النقّاد (المكثّفة، النّامية) وهي شخصيّات لا تستقرّ على حال ولا يستطيع القارئ أن يعرف مُسبَقاً ما سيؤول إليه مصير هذا النّموذج من الشخصيّات؛ لأنّها تنمو وتتطوّر، وتتكشّف للقارئ تدريجيّاً. وممّا يّميز سلوك هذه الشخصيّات هو عنصر المفاجأة في سلوك هذه الشخصيّات. كشخصيّة (نوري، سعيد، سعاد، نفيسة). انمازت هذه الشخصيّات بتطورها مع تصاعد الأحداث. درس (نوري) في دمشق، وحضر الندوات والمؤتمرات الثّقافية، ورافق شخصيات سياسيّة، سارت حياته على هذا النّمط إلى أن حضر إعدام الشهداء في ساحة المرجة، ليغيّر هذا الحدث مسيرة حياته وينعكف عائداً إلى مدينته تاركاً الدّراسة والسياسة لأخيه ويقصُر حياته على العمل في الأرض، ومعاشرة الفقراء والفلاحين بدلاً من رجال السياسة. فكان حدث الإعدام نقطة تحوّل في حياة نوري، وفاجأ موقفه السلبي وتغيير نمط حياته وهيأته الخارجيّة باستبداله البدلة والطربوش بلباس الفلاحين القارئ. وفاجأت شخصيّة (سعاد) القارئ بمواقفها السياسية والنّضالية. أوّل حدث غيّر نمط حياتها هو طلاقها من حمدان الّذي أحبّته وحلُمت بحياة مثالية معه لكنّ حبّه المضطرب دفعها للطّلاق منه والزّواج من المحامي (عبد الرّحيم) لتكوّن أسرة مثاليّة بعيداً عن وجع الحبّ. بدأت معه مسيرتها

(1) خوست، ناديا، شهداء وعشّاق في بلاد الشّام، ص408.

النّضاليّة، وفاجأت القارئ بنضالها على مستوى الأسرة والوطن، وبحكمتها ورجاحة عقلها عندما كان زوجها عبد الرّحيم يستشيرها في قضاياه، والقضايا السياسية.

– المرأة الأجنبيّة (اليهوديّة – الغربيّة):

برزت شخصيّة (مس نيوتن) الإنكليزية في رواية (حبّ في بلاد الشّام) كمبشّرة إنكليزيّة. ادّعت أنّها تحبّ فلسطين، وأنّها مُهتمّة بتاريخها. تنقّلت بين مدن فلسطين وبلاد الشّام وهي مسلّحة بالكتب والخرائط. استغلّت حاجة الفقراء لنشر الدّين المسيحي، وتجندهم لصالح بلادها، ثُمّ افتتحت المدارس لتجمع الأولاد. لم تُهمل علاقتها الحسنة بالأغنياء؛ لتخفي نواياها وتُبعد الشّكوك عنها. كانت في معركة سرّيّة مع الألمان، تؤسّس موقعاً للإنكليز أمام الألمان في فلسطين: "لكن يوسف لن يعرف المستقبل، أنّها ستصوّر سرّاً الخط الحديدي في بيت ميزنر باشا، الّتي سيستند إليها لورنس لنسف جسور ومحطّات الخط الحديديّ، وأنّ اللّنبي سيزورها في بيتها عندما يدخل الجيش العربيّ والإنكليزي إلى فلسطين، وأنّها ستهرّب الشّيخ أمين الحسيني فيما بعد إلى بيروت"(1). كانت شخصيّة مضطربة بالرّغم ممّا أظهرته من قوّة وثقة بالنّفس، خافت افتضاح أمرها لذا كانت تحمل المسدس تحت ثيابها دائماً.

تفنّنت (حنّة) اليهوديّة في جذب الرّجال ضعاف النّفوس ومن تتحكّم بهم شهوتهم على حساب وطنيّتهم ومصلحة بلدهم. ابتكر (صالح الحكيم) ما لم يبتكره عربيّ في اللّهو معها، مُجاهراً بلهوهِ ومزهوّاً بغناه، ودون أن يدري خدم اليهود وساعدهم بماله. وبالمقابل نجحت (حنّة) اليهوديّة بمهمّتها بسلبه ماله وصَرْفه عن قضيّة وطنه بقول الرّاوي في رواية (حبّ في بلاد الشّام): "يُقال عمّرت حنّة كنيساً من أموال صالح الحكيم. يُقال بنى صالح الحكيم دون أن يدري، كنيساً لليهود!"(2).

(1) خوست، ناديا، حبّ في بلاد الشّام، ص573.
(2) خوست، ناديا، حبّ في بلاد الشّام، ص500.

خاتمة:

وهكذا نجد أنّ الكاتبة اختارت شخصيّاتها بعناية فائقة. واختارت ما يُناسبها من أسماء ووظائف. فكان لها دور كبير في تحريك العمل السّردي، فكلّ شخصيّة أدّت دورها على أكمل وجه والسّمة البارزة في هذه الشّخصيّات الطّابع الاجتماعي الحقيقي. فكانت كلّ شخصيّة حاملة لأفكار معيّنة كلّ حسب ثقافته، ممّا يدلّ على تفاوت نسبيّ لدى كلّ شخصيّة على مستوى التّفكير وطبيعة السّلوك.

فانقسمت الشّخصيّات مناضلين، وسياسيين، وعملاء، أمّا الشّخصيّات الثّانوية فتميّزت بالجمال والاعتداد بالكرامة وعزّة النّفس، والتّمرّد على العادات الشّرقيّة برفضها الطّاعة والتّسليم للرّجل، ورفضها أن تكون مستكينة تابعة له.

نتائج البحث:

– اختارت الكاتبة شخصيّاتها بدقّة، فكان معظمهم من الطبقة البرجوازيّة، لأنّهم امتلكوا في تلك المراحل التّاريخيّة مقومات متعدّدة جعلتهم قادرين على التّفاعل مع الأحداث؛ نظراً لطبيعة الأحداث الّتي كانت سائدة في تلك الأزمنة وارتبطت الشخصيّات جذريّاً بالتّاريخ السياسي لبلاد الشّام بوصفه تاريخاً يتّصل بشكل مباشر بالمطامع (اليهوديّة – الصّهيونيّة) بفلسطين.

– تنوّعت شخوص الرّاوية من شخوص تاريخيّة ومجازيّة وواصلة. شاركت الشخصيّات الثّانويّة في تطوّر الأحداث وإبراز مواقفها إزاء الأحداث الّتي عاشتها البلاد.

– حرصت الكاتبة على خلق شخصيّات متنوّعة في الفكر والطّموح، فكانت هذه الشّخصيّات تنبض بحبّ الوطن، واتّسمت أغلبها بالإيجابيّة (كالنّزعة النّضاليّة. ونشدان (الحريّة). فكانت ثريّة في إنتاج دلالاتٍ إنسانيّةٍ رحبة.

– مزجت الكاتبة في رواياتها بين الحبّ والنّضال؛ الحبّ من أجل الوطن والعيش بسلام، وقصص الحبّ بالرّغم من الظّروف التّاريخيّة والسّياسيّة الّتي عاشتها الشّخصيّات.

– رصدت الكاتبة واقع المرأة الفلسطينيّة ونضالها وتمسُّكها بأرضها من خلال عدّة شخصيّات كشخصيّة سعاد.

– برزت في الرّوايات شخصيّات نموذجيّة جعلها الرّاوي تنهض بالأحداث، وتُشارك في سيرها، محدّداً وظيفة لكلّ منها، وأهم ما يميّزها أنّها شخصيّات مثقّفة وإيجابيّة.

– جسّدت الشخصيّات شخصيّة الإنسان العربي بصدق وواقعيّة اجتماعيّاً وسيّاسيّاً وثقافيّاً. أبدعت الكاتبة في رسم الشخصيّات بما يُقابلها من شخصيّة الآخر.

– لم تبرز المرأة كأنموذج للمرأة العربيّة المضطهدة كما يُصوّرها أغلب الأدباء والكتّاب، بل برزت كشخصيّة مكافِئة للرّجل، وسيّدة نفسها وبيتها.

قائمة المصادر والمراجع:

- المصادر:

- ابن منظور، أبو الفضل جمال الدّين محمّد بن مكرم،1994م، لسان العرب (مادّة شخص)، دار الكتب العلّميّة بيروت – لبنان، ط5.

- خوست، ناديا،1995م، حبّ في بلاد الشّام، منشورات اتّحاد الكتّاب العرب، دمشق.

- خوست، ناديا، 2002م، شهداء وعشّاق في بلاد الشّام، منشورات اتّحاد الكتّاب العرب، دمشق.

- خوست، ناديا، 2005م، دماء وأحلام في بلاد الشّام، منشورات اتّحاد الكتّاب العرب، دمشق.

- خوست، ناديا، 1998م، أعاصير في بلاد الشّام، منشورات اتّحاد الكتّاب العرب، دمشق.

المراجع:

– إسماعيل، عزّ الدّين، 1975م، الشّعر العربيّ المعاصر (قضاياه وظواهره الفنّيّة)، دار الثّقافة بيروت، ط3.

– أرسلان، إسماعيل، الرّمزيّة في الأدب والفنّ، مكتبة القاهرة الحديثة القاهرة، (دت).

– بحراوي، حسن، 2009م، بنية الشّكل الرّوائي (الفضاء الزّمن الشّخصيّة)، المركز الثّقافي العربيّ، الدّار البيضاء – المغرب، ط2.

– بير، هنري، 1981م، الأدب الرّمزي، تر: هنري زغيب، منشورات عويدات، بيروت.

– الحمداني، حميد، 2000م، البنيّة السّرديّة من منظور النّقد العربيّ، المركز الثّقافي العربيّ، الدّار البيضاء – المغرب، (دط).

– رياض، سعد، 2005م، الشخصيّة أنواعها أمراضها وفنّ التّعامل معها، مؤسّسة اقرأ، القاهرة – مصر، ط1.

– زغرب، صبيحة عودة، 2006م، جماليّات السّرد في الخطاب الرّوائي، دار مجدلاوي للنّشر والتّوزيع، عمّان – لبنان.

– زكريّا، عبد المنعم، 2008م، البنى السّرديّة في الرّواية، النّاشر عن بحوث إنسانيّة واجتماعيّة، ط1.

– أبو شريفة، عبد القادر، 2008م، مدخل إلى تحليل النّصّ الأدبيّ، دار الفكر العربيّ، ط4.

– العيد، يمنى، 1990م، تقنيّات السّرد الرّوائي في ضوء المنهج البنيويّ، دار الفارابي، بيروت – لبنان، ط1.

– غطّاس، أنطوان كرم، 1949م، الرّمزيّة والأدب العربيّ الحديث، دار الكشّاف للنّشر والطّباعة، بيروت – لبنان.

– ابن كثير، إسماعيل بن عمر، 2009م، البداية والنّهاية، بيت الأفكار الدّوليّة.

– مرتاض، عبد الملك، في نظريّة الرّواية (بحث في تقنيّات السّرد)، المؤسّسة الوطنيّة للكتاب، الجزائر، (دط).

– الميلادي، عبد المنعم، 2009م، الشّخصيّة وسماتها، مؤسّسة شباب الجامعة، مصر، (دط).

– هامون، فيليب، 2008م، سيمولوجيا الشّخصيّات الرّوائيّة، تر: سعيد بنكراد، دار الحوار للنّشر، اللّاذقيّة – سوريّة، ط1.

– هلال، محمّد غنيمي، 1987م، الأدب المقارن، دار العودة، بيروت – لبنان.

– هويدي، صالح، 1989م، التّرميز في الفنّ القصصيّ العراقي الحديث، دار الشّؤون الثّقافيّة العامّة، بغداد – العراق، ط1.

– ويلك، رينيه، وأوستن وارين، 1972م، نظريّة الأدب، تر: محي الدّين صبحي، مراجعة حسام الخطيب، دمشق.

References/sources:

- **Ibn Manzoor Abu Alfadl Jamal Al Deen Muhammad bin Mukarram , *Lesan Al Arab*, (Person material) Dar Alkutob ,Scientific Books , Beirut - Lebanon ,T5 , 1994.**
- **Khost, Nadia, *Love in Al Sham Countries*, Published by the Union of Arab Writers, Damascus, 1995.**
- **Khost, Nadia, *Martyrs and Lovers in al Sham Countries*, Published by the Union of Arab Writers, Damascus, 2000.**
- **Khost, Nadia, *Leaving and Meeting in Al Sham Countries*, Published by the Union of Arab Writers, Damascus, 2002.**
- **Khost, Nadia, *Bloods and Dreams in Al Sham Countries*, Published by the Union of Arab Writers, Damascus, 2005.**
- **Khost, Nadia, *Hurricanes in Al Sham Countries*, Published by the Union of Arab Writers, Damascus, 1998.**
- **Ishmael Izzedeen, *The Arab Contemporary Poetry (its cases and artistic causes)*, Dar Al Thakafa, Beirut, T3, 1975.**
- **Arslan, Ishmael, *Symbolism in Literature and Art*, Maktabt AL Kahera Al Hadithah, Cairo, (D.T).**
- **Bahrawi Hasan, *The Structure of the Narrative Shape (space-time-character) Arabic cultural Center* Al Dar Albaida, Morocco T2, 2009.**
- **Pier,Henry, *The Symbolic Literature*, translated by Henry Zgeeb, published by Ouaidat, Beirut, 1917.**
- **Al Hamadani, Hameed, The Narrative Structure , *The Base for the Arab Criticism, The Arab Cultural Center*, Al Dar Albaida, Morocco, (DT), 2000.**
- **Ryad, Sa'ad, *The Character, its Kinds, its Diseases and How to Deal with it*. The Institute : READ. Cairo - Egypt , T1, 2005.**

- **Zagrib, Sabiha, Oudah, *The Aesthetics of the Narration in Orating Novels*, Dar Majdalawi for Publishing and Distribution , Amman - Jordan, 2006.**
- **Zakaria Abd Al Munem, *The Narrative Structure in the Novel*, Published by Social and Humanitarian Researches, T1, 2008.**
- **Abu Sharia, Abd Al Kader, *An Entrance to Analyzing the Literary Text*, T4, 2008.**
- **Abbas, Ehsan, *The Art of Poetry*, Dar Sader, Beirut, 1996.**
- **Al Eid, Yumna, *The Techniques of the Narration of the Novel According to the Criteria of the Novel Structure*, Dar Al Farabi. Beirut - Lebanon, T2, 1990.**
- **Gaddas, Antoine Karam, *The Symbolism in the Arabic Literature*, Beirut, 1949.**
- **Ibn Katheer, Ishmael bin Omar, *The Beginning and the End*, The House of the World Thoughts , 2009.**
- **Murtad, Abd Al Malek, *The Theory of the Novel, (Researches in Techniques of Narration) The World of the Novel*, The Ministry of Culture and National Guidance, Kuwait, 1998.**

الاستبداد في روايتي (تحت الأنظار الغربية) و (مزرعة الحيوان)

الدكتور: ابراهيم السماعيل
كلية: الآداب – جامعة: البعث

مستخلص

يحاول هذا البحث أن يلقي الضوء على كيف يرى كل من جوزيف كونراد و جورج أورويل المجتمع الروسي قبل الثورة الروسية الشيوعية(1917) و بعدها . يرسم كونراد صورة متشائمة للمجتمع الروسي و يتحدث عن القدر المأساوي للمواطن الروسي في ظل القيصرية الروسية التي تفرض سياسة العنف و القمع والاضطهاد. يعاني المواطن الروسي من اضطهاد الحكام و من ظلم الثوار الذين يحاولون قلب نظام الحكم في روسيا. و يتحدث جوزيف كونراد عن الفساد و النفاق و القتل الذي ساد المجتمع الروسي قبل الثورة الشيوعية (1917).

أما في (مزرعة الحيوان) فيتحدث جورج أورويل بشكل متشائم عن قدر الانسان الروسي في ظل الثورة الشيوعية و يصور أورويل روسيا على انها مزرعة حيوان و يصور الشعب الروسي كحيوانات. تقوم الحيوانات بثورة ضد صاحب المزرعة و تحكم الحيوانات انفسها بعد وضع دستور للمزرعة باسم الوصايا السبع. يتم تغيير الوصايا السبع و تعم الديكتاتورية و الفساد المزرعة.

يعتقد كل من كونراد و أورويل بأن المواطن الروسي يتعرض لاضطهاد الحكام و أن الحياة أصبحت مستحيلة في روسيا في ظل الديكتاتورية و الاستبداد.

كلمات مفتاحية: الاستبداد، الاضطهاد، قدر الانسان، العبودية، التشاؤم، المجتمع الروسي، مزرعة الحيوان.

Autocracy in *Under Western Eyes* and *Animal Farm*

By Dr. Ibrahim Ismail
Assistant Professor
Department of English
Al-Baath University

Abstract

This paper explores Joseph Conrad's and George Orwell's pessimistic looks at the Russian society as expressed in their novels *Under Western Eyes*(1911) and *Animal Farm*(1945). Conrad's pen draws a gloomy and pessimistic picture of the tragic fate of the individual man under the Russian autocratic regime before the Russian Revolution(1917). Orwell, also, gives us in *Animal Farm* a pessimistic view about the future of humanity. He gives us a pessimistic picture of the fate of man under the Russian Communist regime after the Russian Revolution(1917). The characters, places, events, revolutions and names of historical personalities are allegorized. The characters are presented to us as animals.. These animals represent the Russian people-the rulers and the ruled. *Animal Farm* is a political satire on the Russian Revolution. Both Conrad and Orwell come to the conclusion that man is suppressed, harassed, imprisoned and even murdered if he opposes the regime whether it is Czarist or Communist. Man is subjected to suppression and enslavement by these regimes. The social conditions are very miserable and the people suffer from shortages of many things in Russia. Freedom is a dream and sciences are contaminated with the poison of autocracy.

Key words: autocracy, oppression, fate of man, slavery, pessimism, Russian society, Animal Farm.

Autocracy in *Under Western Eyes* and *Animal Farm*

In this paper I will try to explore Joseph Conrad's and George Orwell's pessimistic looks at the Russian society and their attitudes towards the Russian autocracy as expressed clearly in their novels *Under Western Eyes* and *Animal Farm*. *Under Western Eyes* is a pessimistic picture of the Russian society. It tackles the sad fate of man under the Russian autocracy before the Russian Revolution. Man is subjected to oppression, suppression and enslavement by the Russian autocratic regime. He is suppressed, harassed, imprisoned and even murdered if he opposes the regime or raises any objection. An individual's dignity is not maintained, he is humiliated and many people disappear mysteriously without coming back. Conrad comes heavily upon the Russians, the rulers and the ruled. As he sees it, "The oppressors and the oppressed are all Russians together; and the world is brought once more face to face with the truth of the saying that the tiger cannot change his stripes nor the leopard his spots.(xxxii)

In *Animal Farm* , Orwell gives us a pessimistic picture of the Russian society after the Russian Revolution(1917). As he states, nothing has changed . The Russian Czar has been replaced by a new autocrat. The animals, by getting rid of Mr. Jones the owner of the farm and ruling themselves, promise themselves of democracy, comradeship, prosperity and good life. But what happens is that they move from one slavery to another. One dictator goes and another comes. They are humiliated more than before and the ideals of their rebellion are shelved and forgotten. They see no way to their escape from the tentacles of the Russian Octopus. Orwell explains his purpose of writing *Animal Farm* as follows:"…for the past ten years I have been convinced that the destruction of the Soviet

myth was essential if we wanted a revival of the socialist movement"(quoted by Bernard Crick, p.450).

Joseph Conrad is anti-revolutionary. He hates all revolutions in the world because, as he thinks, revolution brings in its wake destruction and victimization. He comes heavily upon the Russian Revolution and other revolutions because he is convinced that revolution does not bring any change in society. On the other hand, George Orwell is not anti-revolutionary or anti-socialist. As Singh sees it, "He was never against revolutions, be it a French revolution for that matter. What he opposed tooth and nail was the betrayal of the revolution and the revolutionary tyranny working in the name of revolutionary ideals"(p.98).

Although Conrad claims that he has tried to be impartial in writing about Russia, his thought is still full of Russian racism. The Russian Revolution, in his opinion, does not lead to democracy. As he envisages, the Russian land cannot be a fertile land for breeding a true revolution. The Russian land is desolate and , it is sterile. Nothing good can grow out of it. The Russian Revolution will bring a senseless tyranny and a political chaos. In his famous essay "Autocracy and War", he comes heavily upon Russia. He writes:

> In whatever form of upheaval autocratic Russia is to find her end,it can never be a revolution fruitful of moral consequences to mankind. It cannot be anything else but a rising of slaves. It is a tragic circumstance that the only thing one can wish to that people who had never seen face to face either law, order,justice, right, truth about itself or the rest of the world; who had known nothing outside the capricious will of its irresponsible masters, is that it should find in the approaching hour of wisdom of Lycurgus or a Solon for their service, but at

> least the force of energy and desperation in some as yet unknown Spartacus.(p.102).

In *Under Western Eyes*, Conrad's pen unfailingly draws a pessimistic picture of the mad fate of the individual under the Czarist autocratic Russian regime. He sees Russia as the country of the devil. As he puts it in *Under Western Eyes*,

> In Russia , the land of spectral ideas and disembodied aspirations, many brave minds have turned at last from this vain and endless conflict to the one great historical fact of the land. They turned to autocracy for the peace of their patriotic conscience as a weary believer, touched by grace, turns to the faith of his fathers for the blessing of spiritual rest(p.34)

Conrad gives us a picture of the cruelties inflicted on the Russian people , whether they are revolutionaries or autocrats. As he sees it, "Everything was not for the best. Despotic bureaucracy…abuses…corruption… and so on. Capable men were wanted"(p.35). The Russian society is a society where freedom is a dream, and where moral corruption is deeply rooted in society. In the Russian society human rights are violated and cast to the winds, and there is a total absence of justice, pity, love tenderness and fidelity. All these ideals are changed into hate and fear in the hearts of the Russians. The Russian people are not allowed to practice their religious beliefs because the Czarists, who insist that Russia is their own land, see as Keith Carbine argues that,"religious belief is great because it can be cynically exploited for purposes of control , surveillance, repression, and terror"(p.125).

As a Pole, Conrad has been affected by the Russian autocracy. He hates all the Russians. In *Under Western Eyes* ,

he gives us a pessimistic report about the revolutionaries against the autocratic regime. Conrad sees that the revolutionaries and the autocrats come from the same basket. He understands the revolutionaries as "the apes of a sinister jungle"(p.xxxii). Conrad views the Russian revolutionaries as being unable to bring about any social change. He denounces revolution because it is led by absolutism. The leaders of revolution are fanatic and narrow-minded. Conrad condemns the autocrats and the revolutionaries, the rulers and the ruled. The revolution puts man's dignity at stake, man is degraded and subjected by the oppressors in Russia.

Razumov, the hero of the novel, loses his ordered life after being approached for help by Haldin after having "a successful attempt on the life of Mr. de P….., the president of the notorious Repressive Commission of some years ago, the Minister of State invested with extraordinary powers"(P.7) As a result, all the ambitions of life will come to nothing . He cannot get rid of this situation. He becomes a victim of both the Czarist tyranny and the revolutionary brutality and faces a psychological conflict for the betrayal.

The novel analyzes the suffering of Razumov who has denounced Haldin to the police and his consequent isolation. Haldin sees himself as a revolutionist committed to history. He does not see himself to be a terrorist. As Gurko puts it, "Haldin kills the innocent as well as the guilty when he throws his bomb, then deliberately draws Razumov into his dangerous affairs for no better reason than to save his own skin"(p.192).

It is clearly stated by Conrad in the novel that the assassination in Russia is "still more characteristic of the moral corruption of an oppressed society where the noblest aspirations of humanity, the desire of freedom, an ardent patriotism , the love of justice, the sense of pity and even the fidelity of simple minds are prostituted to the lusts of

despotism"(p.7). It is observed that the assassination of a prominent statesman has become" characteristic of modern Russia"(p.7). Haldin does not consider the murder of Mr. de P-----as a mere act of assassination. He considers it a "war, war"(p.22). His declaration "The modern civilization is false, but a new revelation shall come out of Russia," (p.22) is typical of the pre-Marxist Russian radicals.

Razumov does not like to suffer for a crime he rejects. He dreams horrible dreams which show that he is restless. He is sentenced to despair by the discovery that his watch has stopped, symbolizing an end to his normal life. He receives an envelope ordering him to present himself at the General Secretariat. The narrator gives us a description of Razumov:

> He stared in dreary astonishment at the absurdity of his position. He thought with a sort of dry, unemotional melancholy; three years of good work gone, the course of forty more perhaps jeopardized-turned from hope to terror, because events started by human folly link themselves into a sequence which no sagacity can foresee and no courage can break through. Fatality enters your room while your landlady's back is turned…(p.83). He goes to meet general T-----, he is full of terror to a degree that "His legs were of no use for a considerable time…But why? For what conceivable reason? To what end? …he was saying to himself that general T------ was perfectly capable of shutting him up in the fortress for an indefinite time"(p.85).

Razumov feels threatened, he is restless and his life is not safe, he is surrounded by the Czarist autocracy and the nihilist revolutionaries at the same time.

The narrator tells us that "The true Razumov had his being in the willed, in the determined future-in that future

menaced by the lawlessness of autocracy-for autocracy knows no law and the lawlessness of revolution"(p.77). Razumov feels that a thief or a brute like Ziemianitch finds protection in the law he is breaking, but he himself does not find it. Razumov says to himself:"A common thief…finds more guarantees in the law he is breaking, and even a brute like Ziemianitch has his consolation"(p.78).

The sinister Councillor Mikulin is the personification of Razumov's destructive horror. When Razumov speaks to him, he suffers a nightmare vision. He sees a pale figure with a terrific force in the darkness. The narrator describes Razumov:

> He reproached himself for feeling troubled. Personally he ought to have felt reassured. There was an obvious advantage in this conspiracy of mistaken judgement taking him for what he was not. But was it not strange?...his solitary and laborious existence had been destroyed-the only thing he could call his own on this earth(p.82).

Councillor Mikulin tells Razumov that he has personally supervised the search of his rooms. He tells Razumov that he is "greatly impressed by a sort of political confession of faith. A very remarkable document"(p.99). Razumov protests because the affair "is becoming too comical altogether(p.99). He decides to leave, just to retire, but Mikulin asks him coldly "where to?"(p.99). It has been observed that Mikulin's query changes Razumov's utter hopelessness, he is forced to become a spy in Geneva. Mikulin blackmails Razumov by threatening him with imprisonment for keeping Haldin in his house. Guerard feels that Razumov becomes a police spy "having

found no other answer to Councillor Mikulin's sinister question "where to?"(p.234).

Razumov is sent on a dangerous mission to Geneva as a spy on some of the Russian Revolutionaries living there. It is dangerous because Razumov has to claim himself as a revolutionary and to live among them. Natalia, the sister of the assassinator Haldin, is living among them with her mother. Now Razumov is face to face with Natalia and her mother. The day Razumov writes the first report, he hates himself and hates the life he lives. As Rieselbach puts it, "Razumov himself is tormented by the idea that he is being watched and that the falsehoods he utters are not believed "(p.99). Razumov has no social relations, and isolation is killing him. He speaks frankly to Natalia:"Do you know why I came to you? It is simply because there is no one anywhere in the whole great world I could go to. Do you understand what I say? No one to go to. Do you understand what I say? No one to go to"(p.345). At the end of the novel, through his love for Natalia, Razumov arrives at the consciousness and makes his confession. The revolutionaries beat him badly and fling him in the street to be run over by a car. He becomes deaf and crippled. Tekla takes care of him.

It is to the credit of Joseph Conrad that he envisages that the Russian Revolution is led by absolutism. As he predicts, the revolution, whether it is populist or Bolshevik, cannot satisfy the individual. It victimizes him and makes him bite the dust. Absolutism leads its believers to believe in the Holy mission of Russia to lead the world. It is observed that absolutism characterizes the Russian Revolution and the Russian autocracy.

In *Under Western Eyes*, Conrad presents the Russian autocrats as absolutists. Mr. de P---- has been assassinated by Haldin for his brutality in butchering the people. As the

narrator describes him:"he served the monarchy by imprisoning, exiling and sending to the gallows men and women, young and old, with an equable, unwearied industry. In his mystic acceptance of the principle of autocracy, he was bent on extirpating from the land every vestige of anything that resembled freedom in public institutions; and in his ruthless persecution of the rising generation he seemed to aim at the destruction of the very hope of liberty itself"(p.7). Mr. de P----------is one of the autocrats who has inspired a lot of hate and who murdered the people. He declared in a famous state paper that "the thought of liberty has never existed in the Act of the Creator. From the multitude of men's council nothing could come but revolt and disorder; and revolt and disorder in a world created of obedience and stability is sin. It was Reason not Authority which expressed the Divine Intention. God was the autocrat of the universe "(P.8). Conrad condemns the Russian autocrats for their notorious role in victimizing the Russian citizen. He hates Russia, autocracy, socialism and Caesarism . As he predicts, socialism" must inevitably end in Caesarism…these things must be. It is a fatality"(quoted in Jean Aubry, p.84).

General T----- is another autocrat and absolutist. He hates the revolutionaries and tries to destroy them because they believe in liberty. He is a merciless absolutist. The general says to Razumov: "I detest rebels of any kind. They shall be destroyed…I detest rebels of any kind. They shall be destroyed…I detest these rebels. These subversive minds ! These intellectual debauches"(pp.51-52). Conrad describes him as "the embodied power of autocracy"(p.84),

Similarly, at the other extreme is Victor Haldin who has an absolute vision of the Russian soul and its great future. His mystical philosophy bears the stamp of absolutism. He tells Razumov :" The modern civilization is false, but a new revelation shall come out of Russia"(p.22).

It is observed that the situation is getting very bad in Russia. Mrs. Haldin tells the narrator about the political situation in Russia where"all knowledge was tainted with falsehood. Not chemistry and all that, but education generally,'…The government corrupted the teaching for its own purpose"(p.110). It is difficult for the intellectuals to live in Russia and to get a new job. In Russia, the individual is humiliated and suppressed . People disappear mysteriously.

Natalia Haldin, the sister of Victor Haldin, is one of the revolutionaries . She looks for political liberty and individual freedom. She tells the Professor of languages :"I would take liberty from any hand as a hungry man would snatch a piece of bread"(p.135).

In *Under Western Eyes*, Conrad seems to write about the oppressors, the organisers of oppression and the man that suffers. The aristocrats and some of the revolutionaries organize oppression of the people. General T---, Mikulin, Prince K---- and Mr.de P--- are the organisers of tyranny and oppression in Russia. On the other hand, Razumov is the man who suffers. He is oppressed by the autocrats and later on punished by the revolutionaries. Tekla is another person who suffers under the leadership of the revolutionaries and under the rule of the autocrats. Mrs. Haldin suffers the loss of her son Haldin in Russia. He has been executed for assassinating a tyrant. The people in Russia suffer badly under the Czarist autocrats.

In *Animal Farm* , George Orwell presents the Russian society as an Animal Farm where different types of animals live. As Jeffrey Meyers states "Orwell fused his artistic and

political purpose so well that the animals are completely convincing on the literal level. His precise portrayal of the beast is based on his practical experience as a farmer at Wallington…" (Myers,131). The animals in the novel are the Russian people. The story is allegorized. Animal Farm is Russia, Napoleon is Stalin, Snowball is Trotsky, Squealer is a symbol of the Propaganda Machinery which every dictator employs to justify his actions. Major symbolises Karl Marx or Lenin or both of them. The human beings in the novel are the capitalists. The pigs are the Bolshevists. The Rebellion against Mr. Jones symbolises The Russian Revolution(1917). The Seven Commandments represent the Communist Manifesto (1848). Boxer represents the Proletariat., Napoleon's dogs represent Stalin's secret police. The Great Purge Trials are symbolised as the confessions in *Animal Farm.*

The animals, who live on Manor Farm under the control of Mr. Jones, the owner of the Farm, feel oppressed and wronged by him . They are not justified because they work hard but they are given a very little amount of food . Their milk, eggs, wool, meat and dung are taken from them. The young animals are sold or butchered. Mothers are deprived of their own children. Old Major summons all the animals to a secret meeting in order to tell them about his dream and to pass a wisdom to them about his life and their lives. Since he is experienced and old , they all listen to his exhortation. He voices the miserable situation on Manor Farm by saying:

> 'Now , comrades, what is the nature of this life of ours? Let us face it, our lives are miserable, laborious and short . We are born, we are given just so much food as will keep the breath in our bodies, and those of us who are capable of it are forced to work to the last atom of our strength; and the very instant

> that our usefulness has come to an end we are slaughtered with hideous cruelty…The life of an animal is misery and slavery : that is the plain truth.'(P.3).

Here Old Major voices the miserable life and the miserable situation in Russia before (1917) under the Czar. He incites the animals to rebel against Mr. Jones and to get rid of him. It is a Rebellion against Man in general. He says:

> 'Why then do we continue in this miserable condition? Because nearly the whole of the produce of our labour is stolen from us by human beings .There, comrades is the answer to all our problems. It is summed up in a single word-Man. Man is the only real enemy we have. Remove Man from the scene, and the root cause of hunger and overwork is abolished forever '(p.4).

It is observed that the produce of the animals is stolen by the leader and this is what happens in Russia. The production of the people is stolen by the corrupt rulers. The people live a miserable life; they are enslaved, oppressed and even murdered.

Old Major dies and the Rebellion against Mr. Jones takes place. The animals rule themselves. Napoleon and Snowball are helped by Squealer to lead the Farm. They formulate the Seven Commandments from the teachings of Old Major. The Seven Commandments will be the law which will rule Animal Farm. The pigs learn writing and they change the name of Manor Farm into Animal Farm. The animals are now happy. They promise themselves of prosperity, comradeship, freedom, liberty, democracy and equality, but soon they discover that

their dream of paradise has come to nothing. Napoleon himself violates the seven commandments and betrays the Rebellion.

The animals go to the hayfield to begin the harvest, and when they come back they see that the milk has disappeared. Later on, the mystery of the disappearance of the milk is cleared up. The milk is mixed into the pigs' mash, and the apples are now kept for the use of the pigs. It is stated in the Seventh Commandments that "All animals are equal",(p.15) but as it seems the pigs are more equal than others. They are more privileged than others since they are cleverer than others.

The Rebellion goes on but Animal Farm does not improve. Mr. Jones brings his men and tries to take the Farm back. The animals defeat them under the leadership of Snowball with the help of Boxer who fights bravely. The Battle is called the Battle of the Cowshed. A military decoration "Animal Hero, First Class"*(*p.28) is conferred on Snowball and Boxer. When Snowball is dismissed from the Farm, the whole truth about this Battle is changed. Squealer denies that Snowball has been the leader of the Battle and states that Napoleon has led the animals to victory. More than that, they accuse him of fighting on the side of Jones and of conspiring with him. This shows us the sad fate of truth under the Russian dictatorship. When Stalin dismissed Trotsky, he used to attribute to him anything went wrong in Russia. This is symbolized in *Animal Farm* as follows:

> Whenever anything went wrong it became usual to attribute it to Snowball. If a window was broken or a drain was blocked up, someone was certain to say that Snowball had come in the night and done it, and when the sky of the store-shed was lost the whole farm was convinced that Snowball had thrown it down the well. (p.52).

Under dictatorship the truth is completely changed or lost. Napoleon tries to write a new history. John Atkins grapples with the matter when he says:

> It was hardly possible to keep up with Snowball's activities by now. He was everywhere- creeping into the farm by night stealing corn, upsetting milk-pails, breaking eggs, actually milking the cows during their sleep… It was then discovered that Snowball had actually sold himself to Frederick of Pinchfield Farm, who was plotting to attack them and take away their land *(*Atkins,226).

Boxer who fights bravely in the Battle of the Cowshed is sold to the knacker when he gets old. Boxer is a symbol of the Proletariat and his tragic fate shows us the tragic fate of the Proletariat under the Russian dictatorship. He works hard and becomes a devoted follower of Napoleon. He adopts two mottoes: "I will work harder"(p.37*)* and "Napoleon is always right"(p.37). He builds the windmill and does his best to build Animal Farm . This horse meets a tragic death, when Napoleon, forgetting all Boxer's loyalty and hard work, sells him to a slaughter-house. Boxer symbolises the hardworking Russian. Proletariat under Stalin. Napoleon claims to have sent him to the hospital at Willingdon and that he died in spite of receiving a good care. Squealer claims that he has been present during Boxer's last hours. He says to the animals:

> 'It was the most affecting sight I have ever seen!' said Squealer, lifting his trotter and wiping away a tear.
> I was at his bedside at the very last. And at the end,
> almost too weak to speak, he whispered in my ear that his sole

> sorrow was to have passed on before the windmill was finished.' (p. 83).

This shows us the cunning of Squealer who tells a lot of lies and who can "turn black into while."(p.,9). It also shows us the sad fate of truth under the Russian dictatorship.

Napoleon , who becomes the leader of Animal Farm , turns soon into a dictator . He dismisses his vice Snowball after a conflict upon building a windmill . Napoleon opposes building the windmill just to create a conflict and to get a pretext to dismiss Snowball from the Farm . By dismissing Snowball from the Farm , Napoleon becomes the sole dictator on Animal Farm .

As the only dictator on Animal Farm , Napoleon abolishes the Sunday – morning Meetings because as he thinks that they are wasting time . By abolishing the Sunday Meetings, he brings democracy to an end and replaces it with dictatorship . The narrator states :

> Napoleon , with the dogs following him , now mounted onto the raised portion of the floor where Major had previously stood to deliver his speech . He announced that from now on the Sunday-morning Meetings would come to an end . They were unnecessary , he said , and wasted time . In future all questions relating to the working of the farm would be settled by a special committee of pigs , presided over by himself (p.36).

Squealer is sent to the animals to explain the new arrangements on Animal Farm . He says :" I trust that every animal here appreciates the sacrifice that Comrade Napoleon has made in taking this extra labour upon himself … He would be only too

happy to let you make your decisions for yourselves . But sometimes you might make the wrong decisions , comrades , and then where should we be ?"(p.57) It is observed that Squealer sees the cancelling of the Sunday Meetings as a wise decision and that Napoleon will make a big sacrifice in taking the decision himself .

The animals suffer badly on the Farm . They suffer from shortage of food and other things . The narrator narrates :

> Nevertheless as the summer wore on various unforeseen shortages began to make themselves felt. There was need of paraffin oil , nails , string , dog biscuits and iron for the horses ' shoes ; none of which could be produced on the farm . Later there would also be need for seeds and artificial manures , besides various tools and , finally , the machinery for the windmill (p.42).

John Atkins grapples with the matter when he says :" The food situation got worse . The corn ration was drastically reduced and the potato crop was frosted in the clamps , which had not been covered thickly enough . Stories about starvation on Animal Farm began to circulate among the burgeois human neighbours "(Atkins, 226). Napoleon decides to engage the farm in trade but " the animals were conscious of a vague uneasiness . Never to have any dealings with human beings , never to engage in trade , never to make use of money-had not these been among the earliest resolutions passed at that first triumphant Meetings after Jones was expelled ?"(p.43). Napoleon starts violating the Seven Commandments and betraying the Rebellion .

Napoleon goes ahead in violating the seven commandments and changing them to suit his own purposes and desires . Out of a sudden the pigs move into the house of Mr. Jones . They sleep in beds and live in the house because

this will suit the dignity of Napoleon . The animals remember that a resolution has been passed against sleeping in beds but the new commandment now reads :"No animal shall sleep in a bad *with sheets* " (p. 45). Squealer justifies the situation by declaring that " the rule was against sheets , which are a human invention " and not against beds because as Squealer sees it : A bed merely means a place to sleep in . A pile of straw in a stall is a bed properly regarded "(p.46). The pigs are given many privileges . They are allowed to " get up an hour later in the mornings than the other animals "(p.46) , the young pigs now receive a lot of care , they are warned not to play with other animals , they exercise in the garden and "it was laid down as a rule that when a pig and another animal meet on the path , the other animal must stand aside : and also that all pigs , of whatever degree , were to have the privilege of wearing green ribbons on their tails on Sundays "(p.76). It was also announced that " all barley would be reserved for the pigs …. And every pig was now receiving a ration of a pint of beer daily , with half a gallon for Napoleon himself , which was always reserved to him in the crown Derby soup tureen " (pp.76-77). The pigs continue violating the seven commandments , they drink whisky and Napoleon changes the fifth commandment by adding two words to it . It now reads :"No animal shall drink alcohol *to excess*" (p.73). The pigs wear clothes , Napoleon wears a hat and smokes tobacco . He himself follows human ways .

Napoleon changes the sixth commandment by adding two words to it . It now reads:" No animal shall kill any other animal

without cause " (p.61). Now he has a pretext to kill his opponents . In the confessions he forces his opponents to confess crimes they have not committed and then he orders killing them . In the Great Purge Trials in Russia , Stalin killed three millions of his opponents . This is symbolized in *Animal*

Farm as the confessions . The four pigs who " had protested when Napoleon abolished the Sunday Meeting " (p.56)were killed . After the pigs " The three hens who had been the ring leaders in the attempted rebellion over the eggs now came forward and stated that Snowball had appeared to them in a dream and incited them to disobey Napoleon ' s orders . They too were slaughtered " (p.56).Many other animals are killed for just opposing Napoleon or objecting to his decisions . The narrator describes the situation saying :"And so the tale of confessions and executions went on , until there was a pile of corpses lying before Napoleon 's feet and the air was heavy with the smell of blood , which had been unknown there since the expulsion of Jones "(p.57).

The animals stagger under the yoke of slavery , dictatorship and misery . The narrator says that " life was hard . The winter was as cold as the last one had been , and food was even shorter . Once again all rations were reduced except those of the pigs and the dogs . The animals knew that life nowadays was harsh and bare , that they were often hungry and often cold , and that they were usually working when they were not asleep"(pp.74-75). Life on the farm became harder and " Rations reduced in December , were reduced again in February , and lanterns in the stalls were forbidden to save oil . But the pigs seemed comfortable enough , and in fact were putting on weight " (p.76).

Hypocrisy prevails over Animal Farm . The animals turn into hypocrites who compete in giving Napoleon "the credit for every successful achievement and every stroke of good fortune . You would often hear one hen remark to another ' Under the guidance of our leader , Comrade Napoleon , I have laid five eggs in six days ' ; or two cows , enjoying a drink at the pool , would exclaim ,' Thanks to the leadership of Comrade Napoleon , how excellent this water tastes !"(p. 62).

The animals start referring to Napoleon in formal style and " the pigs liked to invent for him such titles as Father of All Animals, Terror of Mankind , Protector of the Sheepfold , Duckling's Friends , and the like . In his speeches , Squealer would talk with the tears rolling down his cheeks of Napoleon's wisdom , the goodness of his heart , and the deep love he bore to all animals everywhere , even and especially the unhappy animals who still lived in ignorance and slavery on other farms "(p.62) .Napoleon becomes an increasingly merciless dictator . He violates the seven commandments and alters them to fit in with what he wishes to do . The seven commandments are altered into a single commandments :" All ANIMALS ARE Equal BUT SOME ANIMALS ARE MORE EQUAL THAN OTHERS" (p. 90) . Napoleon has betrayed the Rebellion . All the policies , decisions and actions of Napoleon are based on the policies , decisions and actions of Stalin .

In the novel , George Orwell gives us an expression of despair about the future of humanity , the novel is full of despair about the future of mankind . It presents the tragic condition of man under the Russian dictatorship . It is pessimistic about the fate of man under the Communist regime . Man is humiliated and enslaved . His dignity is not maintained . As Paras Mani Singh puts it , " the book illuminates the range of human experience from love to hate and from comedy to tragedy "(Singh, 96). The ideals of the Russian Revolution are perverted . Instead of bringing democracy , justice , prosperity , comradeship and happiness , the Russian Revolution brings vengeance and victimization . The animals are enslaved by Mr.Jones and after the Rebellion they end in a worse slavery than before .

To conclude it is safe to say that Orwell gives the reader a pessimistic picture of the Russian society in his novel *Animal Farm* . The Russians are badly enslaved and exploited by the leaders of the Rebellion (The Russian Revolution , 1917). Nothing has changed in Russia because the Russian people are not ready to change themselves . The individual suffers from the terror let loose in society . The Russian Revolution does not lead to democracy or freedom . Tyranny will remain clinging to Russia . Now-a-days Communism , as a political institution , has collapsed and the Russians started processing their democracy , but we cannot predict the final outcome . Had Orwell lived up to now , he should have told us not to be deceived by this change because the change of political institutions will not usher in a significant change . The evil is the human nature and this evil seems unchangeable .

Conrad and Orwell give the reader a pessimistic picture of the Russian society in their novels *Under Western Eyes and Animal Farm.* Conrad's pen unfailingly draws a gloomy picture of the Russian citizen who is crushed in the interplay of politics. The Russian citizen is enslaved and blackmailed by the Russian rulers and the Russian revolutionaries. In *Animal Farm*, Orwell ,also, draws a pessimistic picture of the Russian society. He shows us Russia as an Animal Farm and the Russian people are symbolized as animals. They are badly enslaved and exploited by the leaders of the Rebellion. Nothing has changed in Russia because the Russian people are not ready to change themselves. Thee individual suffers from the terror let loose in society. The Russian Revolution does not lead to democracy or freedom. Tyranny and autocracy will remain clinging to Russia.

Works Cited

Atkins, John. *George Orwell: A Literary Study*. London:Galder and Boyer, 1971.

Aubry, Jean G. *Joseph Conrad: Life and Letters*. Vol. I. Garden city.

New York: Doublepage and Company, 1927.

Carabine , Keith. "Under Western Eyes," in *The Cambridge Companion to Joseph Conrad.* ed. J.H.Stape. Cambridge University Press, 1983.

Conrad , Joseph. *Under Western Eyes*. Oxford: Oxford University Press, 1983.

……*Notes on Life and Letters.* London: The Gresham Publishing Co. Ltd, 1923.

Crick, Bernard. *George Orwell: A life.* Harmondsworth, Middlesex: Penguin Books, 1980.

Friedman, Alan. "The English Novel," in *The Twentieth Century Mind:*

History, Ideas and Literature in Britain 1900-1918.eds. C. B. Cox and A. E. Dyson. London: Oxford University Press, 1972.

Guerard , Albert. *Conrad: the Novelist*. Cambridge: Harvard University Press, 1958.

Gurko, Leo. *Joseph Conrad: Giant in Exile.* New York: Macmillan, 1962.

Myers, Jeffrey. *A Reader's Guide to George Orwell*. London: Thames and Hudson, 1975.

Orwell, George. *Animal Farm*. Penguin Books, 1987.

Rieselbach, Helen Funk. *Conrad's Rebels: The Psychology of Revolution*

in the Novels from Nostromo to Victory. An Arbar Michigan; Michigan: UMI Research Press, 1985.

Singh, Paras Mani. *George Orwell as a Political Novelist*. Delhi: Amar Prakashan, 1987.